من بيان القرآن
في وصف الوجوه يوم القيامة
"دراسة تحليليّة"

دكتورة

سميرة عدلي محمد رزق

أستاذ البلاغة المُشارك

قسم اللُّغة العربيّة

كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة

جامعة الملك عبدالعزيز بجدة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من بيان القرآن في وصف الوجوه يوم القيامة
(دراسة تحليليّة)
المُستخلص

ركّز هذا البحث على دراسة مُعظم الآيات الواردة في وصف الوجوه يوم القيامة _دراسة بيانيّة تحليليّة_ وهي:

(الآيات ١٠٦-١٠٧ سورة آل عمران، ٢٦-٢٧ سورة يونس، ٤٩-٥١ سورة إبراهيم، ٢٢-٢٥ سورة القيامة، ٣٨-٤١ سورة عبس، ٢-٤ و ٩-١١ سورة الغاشية).

كما اتّبع المنهج التّالي في التّحليل:

أ- ذكر نصّ الآية.

ب- المعنى العام لها.

ج- مناسبتها في السّياق.

د- دراسة الألفاظ لُغويًا، نحويًا، صرفيًا؛ لبيان دقّتها في موضعها، كذا دراسة تراكيبها وما تميّزت به بلاغيًا.

ومن خلال هذه الدّراسة اتّضحت النّقاط التّالية:

- إنّ وصف الوجوه يوم القيامة مرتبط ارتباطًا وثيقًا بأعمال أصحابها؛ فالبياض والإشراق والنّضارة والضّحك والاستبشار والنّعومة والرّضا لوجوه المؤمنين الذين عملوا في دنياهم استعدادًا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ليومهم الموعود. والسّواد والاكتئاب والحزن والتّشاؤم والغُبار والنّصب والغضب لوجوه الكُفّار والمُكذّبين.

- هذا فضلاً عن أنّ بعض هذه الآيات اهتمّت بالوصف الخارجي للوجوه، بينما تناولت الأخرى وصفًا للحالة النّفسيّة المُؤثّرة على تلك الوجوه.
- ورغم هذا الاختلاف في جوانب الوصف وطريقته، إلاّ أنّنا نجد في القرآن الكريم _كعادته_ نسقًا بديعًا وبلاغة عالية وقُدرة أسلوبيّة فذّة ونظمًا مُنفردًا، يُعطيك المعنى في أفصح لفظ وأبلغ تركيب وأجمل جرس وأفضل أداء.

ولعلّ هذه المميّزات هي أهم ما سعى البحث لتوضيحها من خلال التّحليل الذي وظّف علوم البلاغة الثّلاثة لبيان ما تميّزت به الألفاظ من دقّة وفصاحة وظلال، كذا بيان ما امتازت به التّراكيب من قُوّة وإشراق وتمكّن وإبداع.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

Art of Tropes and Metonymy in The Description of Faces on The Day of Resurrection in The Holy Qura'n An analytical Study

ABSTRACT

This paper concentrates on the study of most of the verses dealing with the description of faces on the Day of Resurrection : ١٠٦ _ ١٠٧ Su`raht A`li Imran, ٢٦ - ٢٧ Su`raht Yu`nus, ٤٩ _ ٥١ Su`raht Ibraheem, ٢٢ _ ٢٥ Su`raht Al-Qiya`mah, ٣٨ _ ٤١ Su`raht Abasa, ٢ _ ٤ and ٩ _ ١٠ Su`raht Al-Gha`shiyah.

The method of research is as follows:

a. Verse citation

b. Its general meaning

c. Its suitability to the context

d. Study of words liguistically, morphologically and syntactically to prove its accuracy in its position, together with the study of their structures and their rhetorical merits.

Through the study, the following points are proved:

* The description of faces are tied up with the deeds of their beholders. Whiteness, brightness, freshness,

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

laughter, rejoice, softness and satisfaction belong to the faces of believers, who work for such a day during their life.

Blackness, depression, grieve, sadness, fatigue, dust and anger belong to the faces of the faces of non-believers and atheists.

* Moreover, while some verses take care of the outward description of faces, others concentrate on the terrible psychology that caused such faces.

* In spite of such difference in the description and its ways, one finds out that, as usual, there is an uncomparable consistercy, a superior rhetoric and a unique style, that effectively express the meaning with eloquence and melody in the holy Qura`n.

All these merits are what this paper has tried to prove through its analysis by depending on the three branches of rhetoric.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المُقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم والصّلاة والسّلام على أشرف الخلق والمُرسلين سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.. القائل: "وإنّ من البيان لسحرًا" ..

وبعد..

فهذا عمل متواضع أتناول فيه دراسة مُعظم الآيات الواردة في وصف الوجوه يوم القيامة، دراسة تحليليّة. ولعلّ من أهمّ أسباب اختيار هذا الموضوع:

هو أنّه موضوع في مجال الدّراسات البيانيّة في القرآن الكريم؛ لأنّه كما نعلم أنّ القرآن ينبوع ثر العطاء، لا ينضب على كثرة الأخذ منه... فضلاً عن عذوبة مذاقه وشرف وروده وسموّ الجهد المبذول فيه.

هذا فضلاً عن أنّ هذه الآيات _موضع الدّراسة_ كثيرًا ما كنت أقف عندها وقوف راغب في الغوص في أعماقها للبحث عن بعض أسرارها وجمال تعبيرها وجلاله، لاسيّما وأنّها لم تُدرس بصفة مستقلّة قبل ذلك.

كما لا يستبعد على أيّ مؤمن رغبته في معرفة ما هي صفات الوجوه _يوم القيامة_ التي رُزِق أصحابها نعمة الإيمان والعمل في دنياهم من أجل ذلك اليوم الموعود.

هذا وقد وجدت في اختيار دراسة هذه الآيات حافزًا لكلّ قارئ لها في الاستزادة من الأعمال الصّالحة ليكون في ذلك اليوم ممّن ابيضّت وجوههم وأشرقت بِشرًا وفاضت نضرة وسعادة ونظرت إلى ربّها نظرة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فوز وشكر وامتنان، ولِمَ لا يكون هذا حالها وقد اسودّت وجوه أخر
وأرهقها الغُبار والحزن والكآبة لسوء ما قدّمت في دنياها فكان جزاؤها
الخوف والتّشاؤم والحرمان من فضل الله ورؤية وجهه الكريم ـسبحانه
وتعالىـ.

أمّا منهج البحث فقد استقرّ في:

تمهيد اشتمل على التّعريف بمعنى الوصف في اللّغة ثُمّ في الأدب
وبيان أهميّته عند بعض النّقّاد القُدامى والمُحدثين مع ذكر بعض النّماذج
من وصف الشّعراء، وبيان أهم ما التفت إليه العرب في وصفهم، وأثر
ذلك على ما نتج من قرائح الأدباء بصفة عامة، ولعلّ السّبب في هذا
التّمهيد هو بيان تأثير هذا الفنّ على مشاعر السّامعين وتفاعلهم معه،
فضلاً عن نقله للمعاني النّظريّة المُجرّدة في قالب محسوس تشهده
الأنظار فتتعاطف معه أو تكرهه فتنفر منه.

ومن هنا كانت نقطة المنطلق في البحث، إذ اهتم البحث ـبدايةـ
بالحديث عن الوصف في القرآن وبيان طرقه وأهمّيته ثمّ موضوعاته
وتأثيره، وبيان أهم ما تميّز به عن غيره؛ إذ يكفيه تميّزًا إنّه وصف
الخالق ـعزّ وجلّـ وشتّان بين أسلوب البشر وأسلوب القرآن الكريم.

ولبيان ذلك توجّه البحث إلى دراسة مُعظم الآيات التي اهتمّت
بوصف الوجوه يوم القيامة إذ لم يسبق لأحد ـحسب علميـ دراستها
مستقلّة ـفي عمل واحدـ قبل ذلك؛ لتكون كلّ آية أنموذجًا حيًّا يُبيّن
سمات الأسلوب القرآني وتفرّد بيانه في بديع نظمه وعجيب تأليفه ودِقّة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ألفاظه وبلاغة تراكيبه، فضلاً عن دِقّة وصفه وبراعته مع قدرتــه علــى التّأثير في سامعه أو قارئه ونقله للصّورة في أيسر أسلوب وأبلغه.

وهذه الآيات هي: (١٠٦-١٠٧ من سورة آل عمــران، ٢٦-٢٧ سورة يونس، ٤٩-٥١ سورة إبراهيم، ٢٢-٢٥ سورة القيامــة، ٣٨-٤١ سورة عبس، ٢-٤ و ٩-١١ سورة الغاشية).

هذا وقد اتّبع البحث منهجًا واحدًا في دراســة الآيــات الكريمــات وتحليلها، يبدو هذا المنهج في النّقاط التّالية:

أ- ذكر الآية.

ب- بيان المعنى العام لها وأسباب النّزول إن وُجد.

ج- مناسبة الآية للسّياق.

د- دراسة الألفاظ والتّراكيب.

كما لم يغفل البحث _في نهايته_ التّعقيب على بعض الآيات الواردة في الدّراسة وإجراء بعض الموازنات عليها نظرًا لتشابه بعضها واختلاف بعضها عن بعض.

أمّا الخاتمة، فكانت نهاية الرّحلة السّعيدة ومرفأ السّفينة بعد طول إبحار، بدت خلال سطورها أهم ما حصلت عليه الغواصة في رحلتها من در وصدف وأحجار كريمة، زادت من متعتها وأطمعتها في المزيد وتكرار الرّحلة في جهة أخرى من ذلك البحر الزّاخر مرّات ومرّات.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تمهيد:

معنى الوصف في اللُّغة:

جاء في مقاييس اللُّغة: "الواو والصّاد والفاء أصل واحد، هو تعليق الشّيء، ووصفتُه أصفه وصفًا. والصّفة: الأمارة اللازمة للشّيء".(١) يُقال اتّصف الشّيء في عين النّاظر احتمل أن يوصَف".(٢)

ويُقال للخادم وصيف وللخادمة وصيفة، كذا يُقال: أوصفت الجارية، لأنّهما يوصفان عند البيع. (٣)

وإذا بلغ الغلام حدّ الخدمة يُقال عنه وصُف الغلام، فهو وصيف بيّن الوصافة. والجمع وُصَفاء. (٤)

وقولك استوصفت الطّبيب لدائي، إذا سألته أن يصف لك العلاج(٥). وقال ثعلب:"وربّما قالوا للجارية وصيفة بيّنة الوَصَافَة والإيصَاف، والجمع الوصائف" (٦).

---

(١) أبو الحسين أحمد بن زكريّا بن فارس، مُعجم مقاييس اللّغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط١، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٧١هـ، مادّة (وصف).

(٢) المصدر السّابق، مادّة (وصف). (بتصرّف)

(٣) المصدر السّابق، مادّة (وصف). (بتصرّف)

(٤) إسماعيل بن حمّاد الجوهري، الصّحاح تاج اللّغة وصحاح العربيّة، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، ط٣، القاهرة، على نفقة السيّد حسن عبّاس شربتلي، ١٩٨٢م، (وصف) (بتصرّف).

(٥) المصدر السّابق، مادّة (وصف).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

معناه في الأدب وأهميّته عند بعض النقّاد:

والوصف في المفهوم الأدبي "هو ذكر الشّيء بما فيه من الأحوال والهيئات" (٧)، وقيل: "هو الكشف والإيضاح" (٨).

وبهذا المفهوم يعتبر الأدب الإنشائي _كما هو معلوم_ هو مجال الوصف لأنّه مرآة لنفس صاحبه، كما هو مرآة لعصره وبيئته، كلّما عظم حظّه من الجودة والإتقان، لهذا فهو مُتغيّر قابل للتّجديد دائمًا. وهو أيضًا متفاوت بين الجودة والرّداءة، وفي الحظ من الاتّصال بنفس صاحبه والبُعد عنها، وفي المحافظة والتّطرّف والاعتدال... إلخ (٩).

هذا وقد اقترن الوصف _منذ البداية_ بالحرص على نقل ما في العالم الخارجي من جزيئات في صور أمينة عاكسة للمشاهد الخارجيّة بحرص شديد حتّى إنّ بعض اللُّغويين اعتبر الشّعر "وثيقة تاريخيّة" لدراسة المعارف المتّصلة بحياة العرب (١٠) وهم بذلك يتعاملون مع

---

(٦) المصدر السّابق، مادّة (وصف).

(٧) أبو الفرج قدامة بن جعفر، **نقد الشّعر**، ط٣، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٧٨م، ص١١٨.

(٨) أحمد الشّايب، **الأسلوب (دراسة بلاغيّة تحليليّة لأصول الأساليب الأدبيّة)**، ط٧، القاهرة، مكتبة النّهضة المصريّة، ١٩٧٦م، ص٩٠.

(٩) طه حسين، **في الأدب الجاهلي**، ط١٢، القاهرة، مكتبة دار المعارف، دون تاريخ، ص٣٤ (بتصرّف).

(١٠) جابر عصفور، **الصّورة الفنّية في التّراث النّقدي والبلاغي عند العرب**، ط٣، بيروت، المركز الثّقافي العربي، ١٩٩٢م، ص٣٦٣ (بتصرّف).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الوصف على أنّه لا يتعدّى عن نقل الأشياء كما شوهدت من غير إبداع أو تغيير.

ثُمّ نمت هذه النّظرة وازدادت مع تطوّر النّقد العربي، وازدهار فنّ الوصف في الشّعر وأصبح فنًّا مُستقلاً كالهجاء والمديح. ثُمّ ازداد ارتباط فنّ الوصف بالمُحاكاة فأصبحت الصّورة الوصفيّة النّاجحة "هي التي تنقل العالم الخارجي لتعكس في خيال المُتلقّي مشاهده المحسوسة إلى الدّرجة التي تجعل المُتلقّي يشعر أنّه في حضرة المشهد نفسه ويُعاينه" (١١)، لـذا عرّف قُدامة الوصف تعريفه السّابق.

والآمدي يُوافق قُدامة في رأيه ويرى أنّ حذق الشّاعر لا يكون إلاّ إذا صوّر لك الأشياء بصورها و يلح على الجانب البـصري فـي شـعر الوصف أو ما يُسمّى عنده بـ(المعنى المشاهد).(١٢)

أمّا أجود الوصف عند العسكري فيبدو في قوله: "إنّ أجود الوصف ما يستوعب أكثر معاني الموصوف، حتّى كأنّه يُصوّر الموصوف لك فتراه نصب عينيك" (١٣).

---

(١١) المرجع السّابق، ص٣٦٥-٣٦٦.

(١٢) الحسن بن بشر بن يحيى الآمدي، الموازنة بين شعر أبي تمّام والبحتري، تحقيق السيّد أحمد صقر، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٥م، ج٢، ص٣٧١. (بتصرّف)

(١٣) أبو هلال الحسن بن عبدالله العسكري، كتاب الصّناعتين (الكتابة والشّعر)، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم ود.محمّد البجاوي، ط٢، القاهرة، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٥٢م، ص١٣٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويرى ابن رشيق أنّ أحسن الوصف هو "ما نَعت به الشيء حتى يكاد يُمثّله عيانًا للسّامع" (١٤).

كما يرى حازم أنّ "المحاكاة التّامّة في الوصف هي استقصاء الأجزاء التي بموالاتها يكمل تخييل الشّيء الموصوف" (١٥).

ومعلوم أنّ المحاكاة لا تخرج عن أمور ثلاثة إمّا تصوير الواقع كما هو، أو أفضل ممّا هو ـ وهو ما يُدعى بالتّحسين للنّهوض بهذا الواقع ومُعالجة ما فيه، أو أقلّ ممّا هو عليه، أي كما يعتقد النّاس، وهنا تتّضح قضايا نفسيّة ووجدانيّة تُسهّل إساغتها لدى الجمهور المُعتقد فيها. (١٦)

هذا وتُعتبر القصيدة الوصفيّة عبارة عن محاكاة لما في الطّبيعة، تتمثّل فيها انفعالات الشّاعر تجاه ما يرى ويسمع. ومنها تستطيع أن تستشفّ تأثّره بصور القبح والجمال التي يقع عليها في بيئته (١٧)، وقد يُضفي على حقيقة ما يراه شيئًا من تفاؤل نفسه أو تشاؤمها، إكبارها أو

---

(١٤) أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، **العمدة في صناعة الشّعر ونقده**، تحقيق محمّد محيي الدين عبدالحميد، ج٢، القاهرة، المكتبة التّجاريّة، ١٩٥٥م، ص٢٢٦.

(١٥) أبو الحسن حازم القرطاجنّي، **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، ط٣، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٦م، ص١٠٥.

(١٦) محمد غنيمي هلال، **النّقد الأدبي الحديث**، ط٣، بيروت، دار الثّقافة، دار العودة، ١٩٧٣م، ص٥٧-٥٨. (بتصرّف)

(١٧) عزّ الدّين إسماعيل، **الأسس الجماليّة في النّقد العربي (عرض وتفسير ومقارنة)**، ط٣، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٧٤م، ص١٣١. (بتصرّف)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

زمر النهار..إلخ) ومن هنا اختلف أسلوب الوصف وتنوع تنوعا واضحا فوصف الحسيات غير وصف المعنويات، ووصف الحروب يختلف عن وصف المناظر الجميلة، ولغة الأصوات المدوية تختار لغة الألسن الزاهية"(١٨).

وهكذا تعود معظم الفنون الشعرية إلى فن الوصف؛ فالحماسة في الحرب، والتشبيب في الجمال، والمدائح في الفضائل، والرثاء في الحزن، ويتبع ذلك الأسلوب المنتقى للتعبير عن الغرض؛ فتكون الجزالة والفخامة والقوة مع الحروب وإثارة الحماسة، ومع أصوات الطبيعة والحوادث المفزعة، وتختار السلاسة واللين مع وصف رقة العواطف في الحب والعتاب والاعتذار أو الطرب واللهو، أما الجاذبية والنضارة والإشراق في اللفظ فتكون مع وصف الكواكب والأزهار والأنغام وكل ما يمت إلى الجمال بصلة (١٩).

وتعود دقة الوصف إلى دقة الحس عند الشاعر يقول د.أبو موسى في ذلك:

---

(١٨) أحمد الشايب، الأسلوب (دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية) ص٩٠.

(١٩) المرجع السابق، ص٩٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

"وكان البلاغيّون شديدي العناية بهذه النّاحية أعني ما وراء دقّة المطابقات المحسوسة، فليس الفضل راجعًا لما تناله الحواس وإنّما لما وراء ذلك ممّا تدركه العقول وتُحسّ به القلوب"(٢٠).

فوصف الأشياء أو الأصوات ذات الخصوصيّات الدّقيقة أكثر دلالة عندهم على براعة الشّاعر من الأصوات التي ليست كذلك فقول ذي الرّمّة:

كأنّ على أنيابهِ كلَّ سُدْفةٍ صِياحَ البَوازِي من صَريف اللوائك(٢١)

مفضّل على قول امرئ القيس:

كأنّ الحصى من خلفِها وأمامِها إذا نَجَلَتْهُ رِجْلُها حَذَفٌ أعْسَرَا

كأنّ صليل المَروِ حين تَشُنُّهُ صليلُ زُيُوفٍ يُنتقَدْنَ بعَبْقَرا(٢٢)

---

(٢٠) محمّد محمّد أبو موسى،**التّصوير البياني**(دراسة تحليليّة لمسائل **البيان**)،ط٤،القاهرة،مكتبة وهبة،١٩٩٧م،ص٥٧.

(٢١) ذو الرّمّة غيلان بن عقبة العدوي،**ديوان ذي الرّمّة** شرح الإمام أبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي رواية الإمام أبي العبّاس ثعلب،تحقيق وتقديم وتعليق:عبدالقدّوس أبو صالح،ط٢،بيروت،مؤسّسة الإيمان،١٩٨٢م،ج٣،ص١٧١٩.

(يُريد أن يصف أصوات أنياب الإبل في حال مضغها فشبّهها بصياح البوازي، وهو وصف جيّد).

(٢٢) ابن حجر بن عمر الكندي (امرؤ القيس)، **ديوان امرئ القيس**، ط بدون، بيروت، دار بيروت للطّباعة والنّشر، ١٩٧٢م، ص٩٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وذلك لما في الوصف الأوّل من دِقّة الحسّ (٢٣).

وشواهد هذا الوصف الدّقيق تزخر به كتب الأدب ودواوين الشّعراء، فقد وصفوا كلّ شيء وقعت عليه أعينهم في الصّحراء حولهم، وهم عادة يذكرون ذلك بعد غزلهم وتشبيبهم، فيصفون رحلاتهم وقطعهم للمفاوز البعيدة على رواحلهم التي لا يقصّرون في وصفها هي أيضًا، فما زلنا نذكر طرفة بن العبد ووصفه لناقته بمعلّقته تلك التي كاد ألاّ يترك فيها عضوًا ولا جزءًا دون وصف وتصوير (٢٤).

ولعلّ ما نجده في المفضّليّات والأصمعيّات من أحاديث زاخرة عن الرّاحلة يدلّ على ما كانوا يرون فيها من جمال، "وكانوا يُشبّهونها بالقصور ويُشبّهون قوائمها بالأعمدة وقد يُشبّهونها بالسّفن والقناطر ويُشبّهون قوائمها بجذوع الطّلح ويديها بالصّخر الغليظ أو بيدي السّابح، وصوتها بصوت القصب وخفافها بالمطارق. وقد يُشبّهونها بالجبل ويُشبّهون صدرها بالطّريق. وكانوا يُشبّهونها بكثير من الحيوان مثل

---

(٢٣) يصف في البيت الأوّل الإبل ورميها للحصى بشدّة وطأة أخفافها على الأرض، فشبّهها برمي أعسر وهو الذي يرمي بشماله فلا يضبط الرّمي. وموضع الشّاهد في البيت الثّاني إذ يصف صوت الحجارة (المرو) حين تتحيه بوطأة الشّديدة والتي تقدح فيه الشّرر، بصوت النّقود الزّائفة التي تُختبر، وهو صوت لا فيه من أحوال الصّوت كما في صياح البوازي. انظر في ذلك: محمّد أبو موسى، **التّصوير البياني (دراسة تحليليّة لمسائل البيان)**، ص٥٨.

(٢٤) شوقي ضيف، **العصر الجاهلي**، ط٤، القاهرة، دار المعارف، ص٢١٤. (بتصرّف)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الظّليم والثّور وحمار الوحش، وحينئذ يستطردون إلى وصف هذه الحيوانات وما يكون من عراك بينها وبين كلاب الصّيد" (٢٥).

ثمّ يُعلّق على ذلك صاحب "العصر الجاهلي" بقوله:

"وكأنّهم كانوا يتّخذون قتل الكلاب في المديح رمزًا لأعداء الممدوح، وكانوا فعلاً يُشبّهونهم بالكلاب"(٢٦).

كذا وصفوا الماعز والخيل بكثرة، ووصفوا الضّباع والرّخم والعقبان والنّسور والغربان وأكلها القتلى، كما وصفوا الطّير وتشاءموا بالغراب. وطالما وصفوا وعورة الصّحراء ومخاوفهم من الشّياطين والجنّ، وأكثروا من وصف الجدب والقحط، والمطر، وما يتعلّق به من رعي ومراعي.... ولم يتركوا وصف الخمر وسُقاتها ومجالسها وأثرها، والقيان وأصواتها.... كلّ هذا كان يتداخل في قصيدة طويلة واحدة يتخلّلها بعض الحِكم والمعاني التّهذيبيّة.(٢٧)

واهتمّ الصّعاليك بوصف معاركهم ومغامراتهم حتّى جُعبة السّهام التي كانت معهم وكيف كانوا يحملون حُسامًا صارمًا، بل سيوفًا قاطعة...إلخ (٢٨)

---

(٢٥) المرجع السّابق، ص٢١٥.

(٢٦) المرجع السّابق، ص٢١٥.

(٢٧) المرجع السّابق، ص٢١٥-٢١٦-٢١٧. (بتصرّف)

(٢٨) المرجع السّابق، ص٢٢٥. (بتصرّف)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهكذا ظلّ الوصف فنًّا أصيلاً على مدى العصور الأدبيّة، منذ العصر الجاهلي وحتّى وقتنا الحاضر، وكيف لا يكون مرافقًا للشّعراء أو الأدباء بصفة عامّة، وهو المرفأ الأمين الذي يلجأ إليه الأديب كلّما تحرّكت مشاعره تجاه شيء ما فأراد أن ينقل هذه المشاعر إلى كلّ من قرأ له أو سمع إنتاجه، وكيف لا وهو المنتجع الذي يلجأ إليه كلّما تزاحمت مشاعره وأحاسيسه وتكاثرت تجاه موقف أو شيء ما حرّك خاطره فتحدّث عنه، فاستمع على سبيل المثال إلى قول الرّيحاني في قصة "المكاري والكاهن" يصف الفجر:

"هي ساعة الفجر الواقف بين القمر والشّمس صفر اليدين، يشبع نورًا، ويُبشّر بنور، هي ساعة الفجر التي تتقدّم الحادث الذي حدث كلّ يوم منذ كانت الأرض، وظلّ جديدًا، في مثل هذه السّاعة اليتيمة الشّريدة التي لا تعدّ من اللّيل ولا من النّهار يتّصل فجر حياة الإنسان بفجر العالم، فيحلم إذا كان نائمًا الأحلام القريبة من الحقيقة، ويُصوّر الحقيقة إذا كان مُستفيقًا، في أشكال تقرب من الأحلام، وفي مثل هذه السّاعة يفنى ويتجدّد جزء كبير من الجنس الإنساني.... ويكتب القبر والمهد اسميهما في سجل الله، ويفترقان بعد اجتماعهما. هي ساعة التّحوّل والتّجدّد ساعة يقبل الموت الحياة، فيريحها من القديم البالي، ومن الفاسد العظيم، وساعة تجيء الحياة بالجديد الطّاهر، السّليم النّشيط الجميل" (٢٩).

---

(٢٩) عيسى النّاعوري، أدب المهجر، ط٣، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٧م، ص١٣٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فالنّص السّابق يمتزج فيه الخيال بالواقع.. وتبدو الاستعارات والتّشبيهات والكنايات فيه رقيقة أخّاذة فضلاً عن جمالها ورشاقتها... مُعبّرة عن مشاعر الأديب وتجربته الصّادقة واصفة للفجر بجماله وجلاله.

فالوصف فنّ يرقى بالأدب ويسمو بأسلوبه ومادّته كما يُغذّيه بعناصر التّأثير والنّفوذ إلى النّفوس، ويصبغه بالصّبْغة الفنّيّة وبالجمال الأخّاذ. (٣٠)

وبما أنّ الحديث عن هذا الفنّ قد تناولته كثير من كتب الأدب والنّقد فلن تكون الوقفة عنده أكثر من ذلك ويكفينا العُجالة التي ذكّرنا فيها بأهميّته ومجاله وأقوال بعض النّقّاد فيه لننفذ منها إلى بُؤرة البحث وهدفه الأوّل، وهي دور البيان القرآني في وصف الوجوه يوم القيامة.

ولدراسة هذا الجانب لابدّ لنا من توطئة تتّضح فيها نقاطًا لا غنى عنها وهي الحديث ـ ولو بإيجاز ـ عن الوصف في القرآن وأهمّيّته ثمّ الإشارة إلى الموضوعات التي اهتمّ بوصفها القرآن، ومدى تأثير ذلك الوصف على القارئ والسّامع لما تميّز به عن غيره من الأساليب.

(٣٠) المرجع السّابق، ص١٢٣. (بتصرّف)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الوصف في القرآن الكريم

(طرقه – أهمّيته – موضوعاته – تأثيره – تميّزه)

لعلّنا نصل إلى طرق الوصف في القرآن من القرآن نفسه، فليس أدلّ على ذلك من دلالة الآيات التي ورد فيها الوصف، ومنها أيضًا نعرف موضوعاته، وتأثيره في النّفس، وما تميّز به عن غيره من وصف في كتب الأدب، وكيف لا يكون مُختلفًا ومُتميّزًا على أقوال البشر وهو من خالِقهم ـعزّ وجلّـ فالكامل المُتفرّد بجلاله وعظمته لا يأتي إلاّ بكامل متفرّد مثله.

وإذا حاولنا الاستعانة ببعض المصادر والمراجع التي تحدّثت عن هذا الجانب نجدها هي الأخرى جعلت الآيات الكريمات أساسًا لأيّ ملحوظة كُتبت عن ذلك... وهذا هو الصّواب بعينه فمن ذا الذي يجرؤ أن يكتب عن القرآن الكريم شيئًا دون أن يلجأ إلى دليله وشاهده من القرآن نفسه؟!

ولكن البحث هنا يدعو إلى أن تُقرَّر نقطة مهمّة في هذا الجانب، وهي إنّ الوصف في القرآن غالبًا ما يعتمد على التّشبيه، ونقصد بذلك أيّ نوع كان من أنواع التّشبيه..؛ وذلك لتقريب المعنى أو الشّيء المقصود إلى ذهن السّامع وفهمه، وقد لا يعتمد على التّشبيه ـأحيانًاـ ما دام الوصف مُدركًا بدونه. ولتوضيح هذا الذي قُرِّر لابدّ لنا أن نُعرّج ـللتّذكيرـ فقطـ على فنّ التّشبيه وخدمته لنَقْل المعاني في القرآن الكريم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وتوضيحها، فالمعلوم أنّ التّشبيه فنّ من فنون الكلام، وعنصر من عناصر الأسلوب الجميل، يرسم صورة للحسّ والشّعور، فينقل المعنى في وضوح، ودِقّة وكأنّه ماثل أمامنا (٣١).

وفي تعريفه الاصطلاحي ذكر البلاغيّون أنّه إلحاق أمر بأمر في معنى (٣٢).

ويشترك التّشبيه مع عناصر أخرى في الأسلوب القرآني لينقل لنا المعنى في صورة فنيّة تُعبِّر عن المعنى المُجرّد بشكل حسّيّ، كما أنّها تنقل الحالة النّفسيّة في أسلوب جذّاب دقيق.

يقول صاحب التّصوير الفنّي في القرآن موضّحًا ما يعنيه من التّصوير في القرآن: "ويجب أن نتوسّع في معنى التّصوير، حتّى ندرك آفاق التّصوير الفنّي في القرآن. فهو تصوير باللّون، وتصوير بالحركة، وتصوير بالإيقاع، وكثيرًا ما يشترك الوصف، والحوار، وجرس الكلمات، ونغم العبارات، وموسيقى السّياق، في إبراز صورة من الصّور تتملاّها العين والأذن، والحسّ والخيال والفكر والوجدان" (٣٣).

---

(٣١) عبدالقادر حسين، **القرآن والصّورة البيانيّة**، ط بدون، القاهرة، دار نهضة مصر، ١٩٧٥م، ص٥. (بتصرّف)

(٣٢) محمّد بن عبدالرحمن الخطيب القزويني، **تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبديع**، ط الأخيرة، القاهرة، شركة ومكتبة مصطفى الحلبي وشركاه، د.ت، ص٢٢٤. (بتصرّف)

(٣٣) سيّد قطب، **التّصوير الفنّي في القرآن**، ط٨، القاهرة، دار المعارف، دون تاريخ، ص٣٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثمّ يُؤكّد أنّ هذا التّصوير مأخوذ من عالم الأحياء وليس بعيدًا عن المشاعر والأحاسيس أو الأبعاد والمسافات بل هو مقترن بالنّفس والوجدان، متفاعل مع الطّبيعة ومشاهدها، ناقل لكلّ محتوياتها ومشاهدها. (٣٤)

وممّا يدلّ على أنّ القرآن في تشبيهه لا يكتفي بالحسّ فقط ليجمع بين المشبّه والمشبّه به، وإنّما الحسّ والنّفس معًا، بل إنّ للنّفس أكبر الحظّ والنّصيب، قوله تعالى عن سفينة نوح عليه السّلام: (٣٥) ﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ ﴾.

فالآية الكريمة صوّرت لك بقوله: ﴿ كَٱلْجِبَالِ ﴾ علوّ الموج وضخامته فضلاً عن الرّهبة والفزع الذي استقرّ في نفوس النّاظرين إلى ذلك الموج. (٣٦)

كذا قوله تعالى: (٣٧) ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾.

فانظر إلى هذا التّشبيه ﴿ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾ كيف نقل لك منظر القمر الذي كان بهجة السّماء وملك اللّيل بسطوعه الجميل المُبدّد للظّلمة، انظر كيف يُصبح بعد هذا كلّه، دقيقًا مُحدودبًا لا تكاد تراه بل كأنّه كوكب تا

(٣٤) المرجع السّابق، ص٣٥. (بتصرّف)
(٣٥) سورة هود الآية ٤٢.
(٣٦) أحمد أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، ط بدون، القاهرة، دار نهضة للطّباعة والنّشر، ١٩٥٠م، ص١٩٢. (بتصرّف)
(٣٧) سورة يس الآية ٣٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثمّ يُؤكّد أنّ هذا التّصوير مأخوذ من عالم الأحياء وليس بعيدًا عن المشاعر والأحاسيس أو الأبعاد والمسافات بل هو مقترن بالنّفس والوجدان، متفاعل مع الطّبيعة ومشاهدها، ناقل لكلّ محتوياتها ومشاهدها. (٣٤)

وممّا يدلّ على أنّ القرآن في تشبيهه لا يكتفي بالحسّ فقط ليجمع بين المشبّه والمشبّه به، وإنّما الحسّ والنّفس معًا، بل إنّ للنّفس أكبر الحظّ والنّصيب، قوله تعالى عن سفينة نوح عليه السّلام: (٣٥) ﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ ﴾.

فالآية الكريمة صوّرت لك بقوله: ﴿ كَالْجِبَالِ ﴾ علوّ الموج وضخامته فضلاً عن الرّهبة والفزع الذي استقرّ في نفوس النّاظرين إلى ذلك الموج. (٣٦)

كذا قوله تعالى: (٣٧) ﴿ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾.

فانظر إلى هذا التّشبيه ﴿ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾ كيف نقل لك منظر القمر الذي كان بهجة السّماء وملك اللّيل بسطوعه الجميل المُبدّد للظُّلمة، انظر كيف يُصبح بعد هذا كلّه، دقيقًا مُحدودبًا لا تكاد تراه بل كأنّه كوكب تائه

---

(٣٤) المرجع السّابق، ص٣٥. (بتصرّف)

(٣٥) سورة هود الآية ٤٢.

(٣٦) أحمد أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، ط بدون، القاهرة، دار نهضة مصر للطّباعة والنّشر، ١٩٥٠م، ص١٩٢. (بتصرّف)

(٣٧) سورة يس الآية ٣٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في السّماء لا أهميّة له ولا عناية بأمره "أو لا ترى في كلمة العرجون ووصفها بالقديم ما يُصوّر لك هيئة الهلال في آخر الشّهر ويحمل إلى نفسك ضآلة أمره معًا؟ (٣٨)

وقد يأتي الوصف بطريقة التّشبيه التّمثيلي(٣٩)الذي ينقل المعنى المعقول بصورة محسوسة، فتراه العين مُشاهدًا شاخصًا أمامها(٤٠)، فانظر إلى الآية التي ضرب بها المولى _عزّ وجلّ_ مثلاً لنوره _سبحانه_:(٤١)﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾، فنور الله هنا قصد به هداية الله _عزّ وجلّ_: إذ مثّل _عزّ وجلّ_ نور هدايته وما فيه من إدراك لحقائق الأمور وبُعد عن الضلال والمفاسد مع توجّه إلى الله _عزّ وجلّ_ بكلّ ما في النّفس من مشاعر وإخلاص، وكلّ

---

(٣٨) أحمد أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، ص١٩٢. (بتصرّف)

(٣٩) التّشبيه التّمثيلي: ما يكون فيه تشبيه صورة بصورة أو ما كان وجه الشّبه فيه مُركّبًا من عِدّة أشياء.

انظر: محمّد بن عبدالرحمن الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمّد عبدالمنعم خفاجي، ط٣، بيروت، دار الكتاب اللّبناني، ١٩٧١م، ص٣٤٥-٣٤٧.

(٤٠) إبراهيم طه الجعلي، من بلاغة القرآن، ط بدون، الدّمام، مكتبة المتنبّي، دون تاريخ، ص١١٥.

(٤١) سورة النّور الآية ٣٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ما تقوم به الجوارح من أفعال، شبّه هذا النّور بنور المصباح الذي يهدي من يستضيء به فلا يضلّ طريقه ولا يتعثّر بما يُواجهه من عثرات الطّريق وأشواكه.

يقول صاحب البيان القرآني: "إذ اختير النّور مثلاً للهداية المؤمنة، كما اختيرت الظّلمة مثلاً للضّلال الكافر، وفي شُعاع النّور الوضيء يسير العقل المُهتدي آمنًا مُستريحًا، وفي ظلام الكفر يتخبّط العقل الضّال حائرًا تائهًا!" (٤٢)

وقد لا يلجأ القرآن إلى أكثر من التّشبيه المُفرد، فاستمع إلى قوله تعالى:

﴿ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝ ﴾ (٤٣)، "فالجبال هنا تصير غُبارًا دقيقًا لا تماسك فيه بعدما كانت صخورًا صلبة متماسكة" (٤٥).

والملاحظ أنّ التّشبيه السّابق نقل لنا شيئًا حسيًّا بآخر مثله تساهم حاسّة البصر في إدراكه.

---

(٤٢) محمّد رجب البيّومي، **البيان القرآني**، ط١، القاهرة، الدّار المصرية اللّبنانيّة، ٢٠٠١م، ص٧٠.

(٤٣) سورة الواقعة الآيتان ٥-٦.

(٤٤) هبا: الغُبار يهبو ثار وسطع، والهباء دقاق التّراب وما نبت في الهواء فلا يبدو إلا أثناء ضوء الشّمس في الكوّة. انظر: أبو القاسم الحسين بن محمّد الرّاغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: محمّد سيّد كيلاني، ط بدون، بيروت، دار المعرفة للطّباعة والنّشر، دون تاريخ، (هبا).

(٤٥) إبراهيم طه الجعلي، **من بلاغة القرآن**، ص١١١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أمّا قوله تعالى: (٤٦)﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ۝ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾، فالتّشبيه فيها وهميًّا يعتمد على العقل في فهمه، "وما تراكم على الخيال بمرور الزّمن من أوهام رسمت في النّفس رؤوس الشّياطين في هيئة مرعبة، وأخذت هذه الصّورة يشتدّ رسوخها بمرور الزّمن، ويقوى فعلها في النّفس، حتّى كأنّها محسوسة تُرى بالعين وتُلمس باليد"(٤٧)، وأصبح لها من القوّة والتّأثير في النّفس ما جعلها مُستخدمة للتّوضيح والتّصوير.

وقد لا يلجأ الوصف في الأسلوب القرآني إلى التّشبيه المباشر كما سبق، وإنّما يُلمح من خلال السّياق لمحًا. ولْنتأمّل قوله تعالى: (٤٨) ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ﴾ ، فهذه العبادة غير المُخلصة وغير المُتمكّنة من النّفس إن أصاب صاحبها مكروه فهو شبيه بمن يقف علىَ شفا حفرة يكاد يهوي فيها، أو على طرف مكانٍ عالٍ ربّما تنـــزلق فيه قدماه فــلا يكــاد ينجو...

يقول سيّد قطب في ذلك:

"إنّ الخيال ليكاد يُجسّم هذا (الحرف) الذي يعبد الله عليه هذا البعض من النّاس، وإنّه ليكاد يتخيّل الاضطراب الحسّي في وقفتهم، وهم

(٤٦) سورة الصّافات الآيتان ٦٤-٦٥.
(٤٧) أحمد أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، ص١٩٤.
(٤٨) سورة الحجّ الآية ١١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يتارجحون بين الثبات والانقلاب! وإنّ هذه الصّورة لترسم حالة التّزعزع باوضح ممّا يُؤدّيه وصف التّزعزع، لأنّها تنطبع في الحسّ وتتّصل منه بالنّفس" (٤٩).

ويلجأ الوصف القرآني إلى طريقة ليس التّشبيه فيها عنصرًا من العناصر ولكنّها دقيقة مُعبّرة مؤدّية للغرض في أبلغ أسلوب وأجمله.. فذا قوله تعالى: (٥٠)

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴾،

وهو أنموذج إنسانيّ مُتكرّر كثيرًا، له آثاره السّيّئة على نفسه بظلمها وعلى المجتمع بفساده.

ومثال آخر للوصف في القرآن هو زبدة الختام في هذا المجال، إذ إنّ القرآن كلّه لا يخلو من هذه الأساليب المُتميّزة في العرض أو الوصف أو القصص أو الحوار...إلخ.

قال تعالى: (٥١) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ﴿١١﴾ وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم

---

(٤٩) سيّد قطب، التّصوير الفنّي في القرآن، ص٤٢.

(٥٠) سورة البقرة الآيتان ٢٠٤-٢٠٥.

(٥١) سورة الأحزاب الآيات من ٩-١٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

﴿ مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ ، فالآية الكريمة غنيّة عن بيان ما في سياقها من وصف دقيق لهجوم الأعداء على المؤمنين من كلّ مكان، ووصف حالة الفزع والرّهبة التي انتابت هؤلاء المداهمين من المؤمنين، ووصف حالة الذّبذبة وعدم الثّبات التي كان فيها المنافقين...إلخ، فهي حافلة بكلّ ما يُساعد على وصف الحركات والسّكتات في المشاهد المختلفة في تلك المعركة، فضلاً عن وصفها للمشاعر ورسمها للأحاسيس رسمًا يجعلك معهم في قلب الحدث وساعته. (٥٢)

تلك هي طرق القرآن في وصفه، وهو في هذا الوصف، نجده يهتمّ بإبراز الجنّة ونعيمها والنّار وجحيمها، ويأتي بهذه الأوصاف مستقيمة مع طباع النّاس ومكافئة لما يستحقونه من مثوبة أو عقوبة (٥٣). قال تعالى: ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (٥٤).

---

(٥٢) سيّد قطب، التّصوير الفنّي في القرآن، ص٤٦. (بتصرّف)

(٥٣) محمّد الغزالي، نظرات في القرآن، ط٥، القاهرة، دار الكتب الحديثة، ص٩٤. (بتصرّف)

(٥٤) سورة الواقعة الآيات من ٨٨-٩٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد تكون هذه الموصوفات غير معهودة من قبل[٥٥] ولكن النفس تسعد بها وتتوق لها.

كذا اهتمّ القرآن بوصف الطّبيعة ومشاهدها ومسموعاتها ومشاهد المتأمّلين من المؤمنين تجاه ما يُحرّك وجدانهم منها، ويستحثّ عقولهم على التّفكير، قال تعالى: [٥٦]﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾.

ومن الموصوفات التي اهتمّ بها القرآن، النّفوس البشريّة وما انطوت عليه من صفات حسنة أو سيّئة[٥٧]، كذا وصف الأخلاق والطّباع البشريّة[٥٨]، والمعاملات والمواقف المختلفة[٥٩]، ولْنأخذ على سبيل المثال وصفه للمنافقين وتصرّفاتهم في سورة كاملة نذكر منها قوله تعالى:[٦٠] ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ

---

(٥٥) عبّاس محمود العقاد، **الفلسفة القرآنيّة**، ط بدون، القاهرة، دار نهضة مصر، ١٩٤٧م، ص١٥٧. (بتصرّف)

(٥٦) سورة آل عمران الآيتان ١٩٠-١٩١.

(٥٧) انظر: سورة القيامة الآية ٢، وسورة الفجر الآية ٢٧.

(٥٨) انظر: سورة البقرة الآية ٩٦، وسورة آل عمران الآيتان ١١٣-١١٤ وسورة الحشر الآية ٩، وسورة المدثّر الآيتان ١٥-١٦، وسورة الإنسان الآية ٣

(٥٩) انظر سورة المجادلة الآية ٢٢.

(٦٠) سورة المنافقون الآيات من ١-٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۝ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ... ﴾.

كذا استوعب وصف يوم القيامة وأهواله عددًا كبيرًا من آيات القرآن الكريم في سور مُتعدّدة (٦١)، وتبع ذلك وصف الوجوه تبعًا لأعمال أصحابها في دنياهم والذي سيقوم البحث _في صفحاته التالية _بدراسة معظم آياته وتحليلها بيانيًا لإبراز مدى تميّز الأسلوب القرآني في توضيح المعاني التي أرادها السِّياق الكريم للتّأثير في قارئه فضلاً عن بلاغة التّركيب ودِقَّة اللّفظ وفصاحته في السّياق.

من بيان القرآن في وصف الوجوه يوم القيامة

عند قراءة الآيات الواردة في وصف الوجوه يوم القيامة يتبيّن لنا أنّها اهتمّت بوصف وجوه فئتين من البشر _حسب أعمالهم في الدّنيا_ وهاتان الفئتان هما: فئة المؤمنين أو المحسنين، وفئة الكافرين أو المجرمين.

(٦١) انظر:سورة البقرة الآية ٤٨ والآية ٢٥٤،وسورة آل عمران الآية ١٠٦،وسورة القصص الآيتان ٧٤-٧٥، وسورة التكوير الآيات من ١-١٤، وسورة الغاشية الآيات من ١-١٦، وسورة الفجر الآيات من ٢١-٣٠، وسورة الزلزلة الآيات من ١-٨، وسورة العاديات الآيات من ٩-١١، وسورة القارعة الآيات من ١-١١، وغيرها من السّور الكريمة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وتعريف الوجه في اللّغة: هو المستقبل لكلّ شيء لأنّ "الواو والجيم والهاء: أصل واحد يدلُّ على مقابلة لشيء" (٦٢)، وربّما عبّر عن الذّات بالوجه فيُقال وجهي إليك، أي ذاتي وكلّي، والوِجهة كلّ موضع استقبلته. أمّا قولك وجّهت الشّيء، أي جعلته على جهة (٦٣).

دراسة الآيات وتحليلها

الموضع الأوّل:

أ_ قال تعالى: (٦٤)﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾.

ب_ المعنى العام:

جاء في معنى الآية الكريمة أقوال مختلفة، فقيل إنّ اليوم هو يوم القيامة(٦٥)، وقيل: "وقت قراءة الصّحف، أو وقت رجحان الحسنات

---

(٦٢) أبو الحسن أحمد بن زكريّا ابن فارس، **معجم مقاييس اللّغة**، مادّة (وجه).

(٦٣) المصدر السّابق، مادّة (وجه). (بتصرّف)

(٦٤) سورة آل عمران الآيتان ١٠٦-١٠٧.

(٦٥) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ط٣، القاهرة، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٦٨م، ج٤، ص (بتصرّف)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والسيّئات في الميزان، وقيل عند قوله: ﴿ وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ ، وقيل وقت أن يؤمر كلّ فريق بأن يتبع معبوده" (٦٦).

أمّا عن المعنيّين ببياض الوجوه فقد ذُكِر "عن عطاء تبيضُّ وجوه المهاجرين والأنصار وتسودُّ وجوه بني قُريظة والنّضير" (٦٧).

وقيل: "إنّ من كان من أهل نور الحقّ وُسِمَ ببياض اللّون وإسفاره وإشراقه، وابيضّت صحيفته وأشرقت، وسعى النّور بين يديه وبيمينه، ومن كان من أهل ظلمة الباطل وُسِمَ بسواد اللّون وكسوفه وكمده، واسودّت صحيفته وأظلمت، وأحاطت به الظّلمة من كل جانب" (٦٨).

أمّا كفرهم بعد الإيمان فيقصد به أهل الكتاب وتكذيبهم برسول الله ﷺ بعد اعترافهم به قبل مجيئه، وقيل هم المرتدُّون، وقيل هم أهل البدع والأهواء، وعن أبي أمامة هم الخوارج، وقيل هم جميع الكُفّار

---

(٦٦) محمد بن يوسف الشّهير بأبي حيّان الأندلسي الغرناطي، **تفسير البحر المحيط**، ط٢، القاهرة، دار الفكر، ١٩٨٣م، ج٢، ص٢٢.

(٦٧) محمد بن محمد أبي السّعود العمادي، **تفسير أبي السّعود (إرشاد العقل السّليم إلى مزايا القرآن الكريم)**، ط بدون، بيروت، دار إحياء التّراث العربي، دون تاريخ، ج٢، ص٦٩.

(٦٨) أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزّمخشري الخوارزمي، **الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل**، تحقيق محمد الصّادق قمحاوي، ط الأخيرة، القاهرة، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٧٢م، ج١، ص٤٥٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لإعراضهم بعد أن شهدوا على أنفسهم حين سألهم المولى ـعزّ وجلّ: ألست بربّكم؟ فقالوا: بلى. (٦٩)

وهكذا يكون تأويل الآية، أنّ جميع الكفّار يكون لهم عذاب عظيم يوم تبيضُّ وجوه قوم وتسودُّ وجوه قوم آخرين، فيُقال للذين اسودّت وجوههم أجحدتم توحيد الله وميثاقكم الذي واثقتموه عليه بأن لا تُشركوا به شيئًا ﴿ فَذُوقُوا ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ (٧٠)، أي "بما كنتم تجحدون في الدنيا ما كان الله قد أخذ ميثاقكم بالإقرار به والتّصديق" (٧١).

وأمّا الذين ابْيضّت وجوههم بسبب ثبوتهم على ميثاقهم، ولم يُبدّلوا دينهم؛ فهم في رحمة الله أي في جنّته ونعيمها وما أعدّ الله لهم فيها من نعيم دائم خالدين فيها. (٧٢).

ج ـ مناسبة الآية للسِّياق الكريم:

تبدو مناسبة الآيتين للسِّياق الكريم قبلها عندما طُلب من المؤمنين ألاّ يُطيعوا فريقًا من أهل الكتاب حتّى لا يرتدُّوا عن دينهم، لاسيّما وأنهم ينـــزل على رسولهم القرآن الكريم وهو بينهم ـﷺـ يدلّهم على معانيه

(٦٩) المصدر السّابق، ص٤٥. (بتصرّف)
(٧٠) سورة آل عمران الآية ١٠٦.
(٧١) أبو جعفر بن جرير الطّبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ص٤١.
(٧٢) المصدر السّابق، ص٤١. (بتصرّف)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويهديهم إلى كلّ خير فيه، بل ويطلب منهم الالتزام بالتقوى كما ينبغي، وأن يظلّوا على إسلامهم إلى أن يتوفّاهم الله ـعزّ وجلّـ وأن يتمسّكوا بحبل الله المتين وهو القرآن الكريم، أو دينهم الذي ارتضى لهم ـسبحانهـ والذي كان سببًا في تأليف قلوبهم وجمعهم على الحقّ بعد أن كانوا أعداءً، وبعد أن منّ الله عليهم بالنّجاة من النّار... كما يأمرهم أن يكون منهم أمّة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، حتّى يكونوا مُفلحين حقًّا ولا يكونوا كالذين تفرّقوا وأصبحوا فرقًا وهم اليهود والنّصارى، بعد أن جاءهم البيِّنات فحقّ عليهم العذاب العظيم، وهنا تأتي مناسبة الآيتين الكريمتين للسِّياق؛ إذ إنّ هذا العذاب سيكون في اليوم الذي سينفع الثّابتين على الحقّ والإيمان ثباتهم، فتبْيضُّ وجوههم إشراقًا وبِشرًا بما فعلوا، وتسودُّ وجوهٌ أخرى كفرت بعد إيمانها؛ فحقّ عليها العذاب، ويُقال لهم: (ذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون)، وأمّا الذين ابْيضّت وجوههم فهم في نعيم من الله ورحمة دائمة. (٧٣)

أمّا مناسبة الآيتين للسِّياق بعدها؛ فيبدو في الإشارة إلى الآيات التي بيّنت وقرّرت نعيم الأبرار وتعذيب الكُفّار، والتي أكّدت عدل المولى ـعزّ وجلّـ وعدم ظُلمه؛ فهو وحده الذي له ملكوت السّموات والأرض وإليه تُرجع الأمور، إذ ليس لأحد حقّ التّصرّف في هذا الكون سواه ـسبحانه وتعالىـ (٧٤).

---

(٧٣) انظر: سورة آل عمران، من الآية ١٠٠-١٠٧.

(٧٤) انظر: سورة آل عمران، من الآية ١٠٨-١٠٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

د_ دراسة الألفاظ والتّراكيب:

لنعد هنا إلى سياق الآيتين الكريمتين: [٧٥]﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾.

فالملاحظ أنّ الآية الكريمة بدأت بقوله تعالى:﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ ﴾ إذ جاء اللّفظ (يوم) منصوبًا لأنّه ظرف زمان مُتعلِّق بالخبر المحذوف للعذاب في الآية السّابقة[٧٦]، وهي قوله تعالى: [٧٧]﴿ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾، وتقديره (مُستقرّ) أو منصوب لأنّه "مفعول لمُضمر خوطب به المؤمنون تحذيرًا لهم من عاقبة التّفريق بعد مجيء البيّنات، وترغيبًا في الاتّفاق على التّمسّك بالدّين أي اذكروا يوم تبيضّ" [٧٨].

أمّا قوله: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ ، فالبياض إمّا على الحقيقة، أي بياض البشرة أو سوادها، كما قال ابن عطيّة: "وبياض الوجوه عبارة عن إشراقها واستنارتها وبشرها برحمة الله" [٧٩].

---

(٧٥) سورة آل عمران الآيتان ١٠٦-١٠٧.

(٧٦) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، ط مزيدة بإشراف اللّجنة العلميّة بدار الرّشيد، دار الرّشيد، دمشق، مؤسّسة الإيمان، بيروت، ج٢، ص٢٦٩. (بتصرّف)

(٧٧) سورة آل عمران الآية ١٠٥.

(٧٨) محمد بن محمد أبي السّعود، تفسير أبي السّعود، ج٢، ص٦٩.

(٧٩) أبو حيّان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج٣، ص٢٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقيل يحتمل أن تكون من آثار الوضوء إذ سئل ـ ﷺ ـ : كيف تعرف مَن لم ترَ مِن أمّتك؟ قال: "غرٌّ مُحجّلون، بُلقٌ من آثار الوضوء" (٨٠).

وأمّا سواد الوجوه فقيل: "هو عبارة عن ارتدادها وإظلامها بغمم العذاب، ويُحتمل أن يكون ذلك تسويدًا يُنـــزله الله بهم على جهة التّشويه والتّمثيل بهم على نحو حشرهم زرقًا وهذه أقبح طلعة" (٨١).

وخصّ الوجوه بالذّكر عن سائر البدن لأنّ الوجه هو أوّل ما يلقاك من الشّخص، وهو أشرف ما في الإنسان وأكرمه، وإن كان السّواد والبياض عام لجميع البدن. (٨٢)

وفي (تبيَضّ) و (تسوَدّ) قراءتان غير المذكورة وهي (تِبيَضّ ، تِسوَدّ) بكسر التّاء والأخرى (تَبياض ، تَسوادّ)، ويجوز كسر التّاء

---

(٨٠) (غرّ): ج أغرّ، من الغرة، بياض الوجه. (مُحجّلون): اسم مفعول مفرده (مُحجّل) من التحجيل وهو الدّواب التي لها قوائم بيض، والمراد: ظهور النور في أعضاء الوضوء. (بُلق): جمع أبلق، وهو من الفرس ذو سواد وبياض. انظر الحديث:ابن ماجه: أبو عبدالله محمد يزيد القزويني، **سنن ابن ماجه**، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، ط بدون، القاهرة، دار إحياء الكتب العربيّة، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٥٢م، ج١، ص١٠٤، كتاب الطّهارة وسننها.

(٨١) محمد بن يوسف أبو حيّان الأندلسي، **تفسير البحر المحيط**، ج٣، ص٢١.

(٨٢) أبو الفضل شهاب الدّين السيّد محمود الأندلسي البغدادي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني**، ط بدون، بيروت، ١٩٨٣م، ج٤، ص٢٥. (بتصرّف)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أيضًا، ويجوز (يوم يبيَضّ وجوه) على تذكير الجمع، ويجوز (أجوه) مثل (أُقِّتَت) [٨٣].

وأرى ـ والله أعلم ـ أنّ المراد بالبياض هنا هو كناية[٨٤] عن العمل الصّالح وما يلزم صاحبه من الطّلاقة والبِشر الدّائمين في حياته وعند حسابه، أمّا السّواد فهو كناية عن العمل السّيّئ وما يلزم صاحبه من الكآبة والحزن في حياته وعند حسابه...

أمّا قوله: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ ... ﴾ فهو تفصيل لما أجمل ـ قبل ذلك ـ في قوله : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ ، أو هي إيضاح بعد إبهام[٨٥] والآيتان مشتملتان على لفّ ونشر، ففي قوله: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ لفّ، أمّا قوله:﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ ... ﴾ فهو نشر غير مرتّب[٨٦].

---

(٨٣) أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، **تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن**، ط بدون، القاهرة، الشّعب، بدون تاريخ، ج٢، ص١٤٠٩.

(٨٤) الكناية: لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة المعنى الأصلي. انظر: الصّعيدي، عبدالمتعال الصّعيدي، **بُغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة**، ط١٧، القاهرة، مكتبة الآداب، ٢٠٠٥م، ج٣، ص٥٣٨.

(٨٥) الإيضاح بعد الإبهام من طرق الإطناب وهو باب واسع في علم المعاني، وهو يعني زيادة اللفظ على المعنى لفائدة وله طرق متعدّدة منها الإيضاح بعد الإبهام. انظر: محمد بن عبدالرحمن الخطيب القزويني، **الإيضاح في علوم البلاغة**، ص٣٠١.

(٨٦) اللفّ والنّشر: مبحث من مباحث علم البديع، ويُسمّى أيضًا الطّي والنّشر، وهو أن يذكر متعدّد ثم يذكر ما لكلّ من افراده شائعًا من غير تعيين، اعتمادًا على

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويُلاحظ تقديم بياض الوجوه في الآية الأولى في قوله: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ ... ﴾ وذلك ليكون افتتاح الآية بها لما للعمل الصّالح من فضل، ولما لصاحبه من مكانة مفضّلة وقيل: "قُدّم عند وصف اليوم ذكر البياض، الذي هو شعار أهل النّعيم تشريفًا لذلك اليوم بأنّه يوم ظهور رحمة الله ونعمته، ولأنّ رحمة الله سبقت غضبه، ولأنّ في ذكر سمة أهل النّعيم، عقب وعيد غيرهم بالعذاب، حسرة عليهم، إذ يعلم السّامع أنّ لهم عذابًا عظيمًا في يوم نعيم عظيم، ثمّ قُدّم في التّفصيل ذكر سمة أهل العذاب تعجيلاً بمساءتهم" (٨٧)، وقيل قُدّم الحديث عنهم لمجاورته القول : ﴿ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ (٨٨).

أمّا قوله تعالى: ﴿ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ فهو على إرادة محذوف تقديره (فيُقال لهم)، فحُذفت الفاء الواقعة في جواب (أمّا) مع ما بعدها،

تصرّف السّامع وفهمه، وهو إمّا أن يكون النّشر على ترتيب أو على غير ترتيب، كما هو في الآية الكريمة. انظر: بدوي طبانة، **معجم البلاغة العربيّة**، ط٣، جدة، دار المنارة للنّشر، الرّياض، دار الرّفاعي للنّشر، ١٩٨٨، ص٣٩٢.

(٨٧) محمد الطّاهر ابن عاشور، **تفسير التّحرير والتّنوير**، ط١، تونس، دار سحنون للنشر والتوزيع، ج٤، ص٤٤-٤٥.

(٨٨) أبو الفضل شهاب الدين محمد الألوسي، **روح المعاني**، ج٤، ص٢٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والاستفهام خرج إلى معنى بلاغي هو التّقرير والتّوبيخ والتّعجّب(٨٩)، والجملة اشتملت على فصل واجب لشبه كمال الاتّصال(٩٠).

وهكذا تكون الجملتان: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ مشتملتان على إيجاز حذف أيضًا، والمحذوف جملتان وهما: فماذا يكون في شأنهم؟ فيُقال لهم: أكفرتم... ـعلى التّوالي ـ ولا أجمل من هذا الحذف وأبلغه في سياق القرآن، لأنّه لا يُعطي النّظم إلاّ بلاغة كاملة ونسقًا فريدًا، لا يتوفّر إلاّ في أسلوب القرآن الكريم، ثمّ انظر إلى السّؤال في الآية الكريمة:﴿ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ ؟ ثمّ تذكّر مصدره وقائله ـعزّ وجلّ ـ لتعرف أنّ هذه الجملة اشتملت على أسلوب بديع أيضًا وهو تجاهل العارف (٩١)، كذا اشتملت على التفات(٩٢).

---

(٨٩) المصدر السّابق، ج٤، ص٢٥.

(٩٠) من موجبات الفصل أن تكون الجملة الثّانية إجابة على سؤال فُهم من الجملة الأولى، وتقديره هنا: ماالذي حدث لهم؟ فتكون إجابته: فيُقال لهم: أكفرتم...؟. انظر: فضل حسن عبّاس، **البلاغة فنونها وأفنانها**، ط١، الأردن، ١٩٨٥م، ج١ (علم المعاني)، ص٣١٧. (بتصرّف)

(٩١) تجاهل العارف: من مباحث علم البديع وهو أن تسأل عن شيء مع إيهامك للسّامع أنّك لا تعلمه زيادة في المبالغة. انظر: بسيوني عبدالفتاح فيود، **علم البديع دراسة تاريخيّة وفنيّة لأصول البلاغة ومسائل البديع**، ط٢، القاهرة، مؤسّسة المختار، دار المعالم الثّقافيّة للنّشر. الأحساء، ١٩٩٨م، ص٢٢٩. (بتصرّف)

(٩٢) الالتفات: مبحث بلاغي جميل، وفيه يتغيّر الأسلوب من الخطاب إلى الغيبة أو العكس، كما قد تتغيّر الأفعال من الماضي إلى المضارع أو الأمر في الجملة لتلوين الأسلوب. انظر: بسيوني عبدالفتاح فيود، **علم المعاني دراسة بلاغ**

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أمّا قوله تعالى: ﴿ فَذُوقُوا ٱلْعَذَابَ ﴾ ففيه استعارة تبعيّة[٩٣]؛ فكأنّما العذاب طعام يُتذوّق، وهو أبلغ ممّا لو قيل (تلقوا العذاب)، ويُلاحظ أيضًا مجيء فعل الأمر (ذوقوا) "للإهانة ولِتُقرّر المأمور به وتحقّقه وقيل يُحتمل أن يكون أمر تسخير بأن يذوق العذاب كلّ شعرة من أعضائهم"[٩٤].

أمّا (الفاء) فتدلّ على الإيذان بأنّ الأمر بذوق العذاب مترتّب على كفرهم المذكور، أمّا قوله (العذاب) فـ(أل) هنا للعهد أي ذلك العذاب المعهود والموصوف بالعظيم.

ثمّ يأتي قوله تعالى: ﴿ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ ويُلاحظ هنا بداية الجملة بـ(الباء) التي تدلّ على سبب وقوع الحدث[٩٥]، وقيل: "للمقابلة من غير نظر إلى التّسبّب" [٩٦]، و(ما) في قوله (بما) مصدريّة [٩٧].

ونقديّة لمسائل المعاني، ط٢، القاهرة، مؤسّسة المختار، دار المعالم الثقافيّة، الأحساء، ١٩٩٨م، ص٢٣١. (بتصرّف)

(٩٣) الاستعارة: لفظ مستعمل في غير ما وضع له في اصطلاح التّخاطب، وتكون أصليّة في أسماء الجنس وأسماء المعاني وأسماء الأعلام التّأويليّة، وتبعيّة في الأفعال والمُشتقّات والحروف. انظر: فضل حسن عبّاس، **البلاغة فنونها وأفنانها (علم البيان)**، ط١، الأردن، دار الفرقان للنّشر والتّوزيع، ١٩٨٧م، ص١٨٦. (بتصرّف)

(٩٤) أبو الفضل شهاب الدين محمد الألوسي، **روح المعاني**، ج٤، ص٢٦.

(٩٥) محمد بن يوسف أبو حيّان الأندلسي، **تفسير البحر المحيط**، ج٣، ص٢٦.

(٩٦) أبو الفضل شهاب الدين محمد الألوسي، **روح المعاني**، ج٤، ص٢٦.

(٩٧) محمد بن يوسف أبو حيّان الأندلسي، **تفسير البحر المحيط**، ج٣، ص٢٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثمّ جاء قوله: (٩٨) ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾، فكما ذُكر _من قبل_ هو نشر على غير ترتيب لأنّه أُريد _والله اعلم_ اختتام الآية بالحديث عن الذين ابيضّت وجوههم كما بدأ الحديث عن الوجوه البيضاء، كذا يلاحظ الفرق بين الحديث عن الفئة الكافرة _وكيف ارتبط الإخبار عنها بالعذاب وسوء الحال_، والحديث عن الفئة المؤمنة التي استقرّ أمرها في رحمة الله دون أسباب، يقول أبو حيّان في ذلك: "انظر تفاوت ما بين التّقسيمين هناك جمع لمن اسودّت وجوههم بين التّعنيف بالقول والعذاب، وهنا جعلهم مستقرّين في الرّحمة فالرّحمة ظرف لهم وهي شاملتهم" (٩٩).

ويُلاحظ إضافة لفظ الرّحمة إلى لفظ الجلالة (الله) لأنّها من شأنه _عزّ وجلّ_ بينما جاء لفظ العذاب مُعلّلاً بفعلهم، أمّا الرّحمة فليس منصوصًا في السّياق الكريم على سببها، ثمّ جاءت جملة ﴿ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ بتقديم المُسند إليه (هم) لتأكيد أنّ هذا الخلود لهم دون سواهم، فيحصل بهذا التّأكيد تشويق إليه، وفي توسّط الجار والمجرور بينهما تخصيص يدلّ على أنّ هذا الخلود في الجنّة دون سواها. (١٠٠)

---

(٩٨) سورة آل عمران الآية ١٠٧.

(٩٩) محمد بن يوسف أبو حيّان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج٣، ص

(١٠٠) قد يتقدّم الجار والمجرور على العامل للتّخصيص. انظر: بكري أمين، البلاغة العربيّة في ثوبها الجديد (علم العاني)، ط٣، بيروت، العلم للملايين، ج١، ص١٧١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أمّا الجملة كلّها فهي استئناف للإجابة عن سؤال مُقدّر فكأنّه قيل: كيف حالهم فيها؟... فتأتي الإجابة ﴿ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ ، وعلى هذا التّقدير يكون في قوله: (١٠١)﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ فصلٌ واجب لشبه كمال الاتّصال بين جملة﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ ﴾ وبين جملة﴿ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ .

ثمّ تأمّل هذا السّكون النّفسي الذي أضفته الآية على قارئها أو سامعها عند الفاصلة (خالدون)، وكيف أعطت الإحساس بالهدوء والأمن الذي يشعر به من أراد له ربّه أن يسكن في رحمة الله خالدًا ؟!

وهكذا وضعت لنا الآيتان الكريمتان الخطوط الواضحة في وصف وجه من آمن وصدّق وثبت على إيمانه، كذا وصف وجه من كفر وكذّب وارتدّ عن الإيمان... وفي هذا فضل كبير من المولى _عزّ وجلّ_ إذ شوّقنا _سبحانه_ إلى حُسن المآل التي ينبغي أن يسعى إليه كلّ مؤمن بهذا الوصف الموجز والبليغ في آن واحد. كما أنّه عن طريق المقابلة(١٠٢) في الأسلوب بين الآيتين: (١٠٣)﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ .....

---

(١٠١) سورة آل عمران الآية ١٠٧.

(١٠٢) المقابلة: مبحث من مباحث علم البديع، وهي إيراد الكلام ثمّ مقابلته بمثله في المعنى إمّا بالتّضاد كما هو في الآيتين المذكورتين، أو بالتوافق وهو ما يُسمّى بمراعاة النّظير. انظر: بكري شيخ أمين، **البلاغة العربيّة في ثوبها الجديد (علم البديع)**، ط٢، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٩١م، ص٥٠.

(١٠٣) سورة آل عمران الآيتان ١٠٦-١٠٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فم فيها خطبون ؟ ، غرس في نفس السامع رهبة من سوء العاقبة لمن يمكن أن يصل إليها كلّ من ابتعد عن الطّريق المستقيم أو ارتدّ عن دين ـ والعياذ بالله ـ.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الموضع الثاني:

أ- قال تعالى: (١٠٤) ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾.

الدراسة والتحليل

ب- المعنى العام:

جاء في تفسير هذه الآية أنّ لمن أحسن في عبادة الله -عزّ وجلّ- في الدنيا من خلقه وأطاعوه في اتباع أوامره واجتناب نواهيه الحسنى أي الجنّة، أمّا الزيادة فهي النظر إلى وجه الرحمن -عزّ وجلّ- (١٠٥)

وذكر ابن كثير أنّ الزيادة هي تضعيف ثواب الأعمال الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف وزيادة على ذلك أيضًا ويشمل ذلك كلّ ما يعطيهم الله -عزّ وجلّ- في الجنان من القصور والحور والرضا عنهم وما أخفاه لهم من قرّة أعين، وأفضل من ذلك وأعلاه النظر إلى وجهه الكريم، فهي زيادة أعظم من كلّ ما أعطوه، لا يستحقونها بعملهم بل

(١٠٤) سورة يونس الآيتان ٢٦-٢٧.

(١٠٥) أبو جعفر بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ١١، ص١٠٤-١٠٥. (بتصرف)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بفضله ورحمته، "وقد روي تفسير الزيادة بالنظر إلى وجهه الكريم؛ عن أبي بكر الصدّيق وحذيفة بن اليمان وعبدالله بن عبّاس وسعيد بن المسيّب وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وعبد الرحمن بن سابط ومجاهد وعكرمة وعامر بن سعد وعطاء والضحّاك والحسن وقتادة والسدي ومحمّد بن إسحاق وغيرهم من السلف والخلف" (١٠٦).

وذكر الشوكاني في تفسيره _إضافة إلى ما ذُكر_ أنّ المقصود بالزيادة أيضًا "غرفة من لؤلؤ. وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان، وقيل هي أنّه يُعطيهم في الدنيا من فضله ما لايُحاسبهم عليه" (١٠٧)، ثم تُعطينا الآية الكريمة صفات خلقيّة يتمتّع بها هؤلاء المحسنين، وهي صفاء وجوههم وعدم غشاوتها بالغبار أو السواد الذي يدلّ على الهوان أو الحزن في ذلك اليوم الذي يُصيب فيه أهل النار من الحزن والكآبة وسواد الوجه ما يُصيبهم" (١٠٨)

---

(١٠٦) أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، **تفسير ابن كثير**، ط بدون، بيروت، دار الفكر، ١٩٨١م، ج٢، ص٤١٥.

(١٠٧) محمد بن علي بن محمد الشوكاني، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، ط٢، القاهرة، مكتبة مصطفى الحلبي وشركاه، ١٩٦٤م، ج٢، ص٤٣٨.

(١٠٨) أبو الفضل شهاب الدين السيّد محمود الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج١١، ص١٠٣. (بتصرّف)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقيل إنّ ذلك لتذكيرهم بما سيَنقذهم منه _عزّ وجل_ ليزيد في ابتهاجهم وسرورهم(١٠٩)، وتُبيّن الآية الكريمة أنّ من كانت هذه صفاتهم سيكون مآلهم إلى الجنّة خالدين فيها.

أمّا الذين لم يُقدّموا لأنفسهم سوى معصية الله والكفر به وبرسوله، فجزاء سيئة بمثلها _عدلاً منه ورحمة_، أمّا وجوههم فيغشاها ذلّة وهوان لمعاقبة الله لهم.

يقول الطّبري: كأنّما أُلبست وجوه هؤلاء الذين كسبوا السيّئات قطعًا من اللّيل وهي جمع قطعة (١١٠)، والمعنى ظلمة من اللّيل. وليس لهم من مانع يمنعهم عن ذلك، وجزاؤهم النّار وسيكون الخلود فيها هو مصيرهم المنتظر لا محالة.

ج_ مناسبة الآية للسّياق الكريم:

تتّضح مناسبة الآيتين الكريمتين للسّياق الكريم قبلها من خلال قراءة السّورة الكريمة من أولها؛ إذ بدت الآيات الأولى في إبطال شُبه المشركين على القرآن(١١١)، ويُلاحظ أنّ هاتين الآيتين قد وردتا ضمن الآيات التي تدعوهم إلى التّصديق بطريق التّرغيب مرّة وبالتّرهيب أخرى،

(١٠٩) المصدر السّابق، ص١٠٣.

(١١٠) أبو جعفر بن جرير الطّبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج١١، ص١١٠.

(١١١) عبدالمتعال الصّعيدي، النّظم الفنّي في القرآن، ط بدون، القاهرة، بدون تاريخ، مكتبة الآداب، ص١٣٧-١٤٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فكما نُلاحظ أنّهما جاءتا بعد المثل الذي ضربه _سبحانه وتعالى_ لهذه الحياة الدّنيا والذي يلفت فيه انتباه الكُفّار إلى عدم الاغترار بها، وأنّ الهدف من ذلك هو دعوته _سبحانه_ كلّ عباده إلى دار السّلام. (١١٢)

فأتت الآيتان بمقابلة تعرض فيها جزاء المحسنين وصفات وجوههم، ثمّ جزاء الكافرين وصفات وجوههم، وما ذاك إلاّ نوع من التّرغيب والتّرهيب حتّى يتحقّق الهدف الأسمى وهو الدّعوة إلى دار السّلام الذي يتمنّاها _عزّ وجلّ_ لعباده جميعًا.

أمّا عن مناسبة الآيتين لما جاء بعدها فتبدو أنّ الآيات التّالية لهما مباشرة تُبيّن أنّ الحشر سيكون للجميع في يوم معلوم يقطع فيه _عزّ وجلّ_ بين المشركين وشركائهم، ويتبرّأ هؤلاء الشّركاء من عبادة من عبدوهم، ويُشهِدون الله على أنّهم كانوا عنها غافلين، وعند ذلك تبلو كلّ نفس بما قدّمت من خير أو شرّ، ويُردّون إلى مولاهم _عزّ وجلّ_ وحده ويضلّ عنهم آلهتهم المزعومة. (١١٣)

وهكذا بدا ارتباط كلّ من الآيتين _وما اشتملت عليه من وصف لوجوه المؤمنين ثمّ لوجوه الكُفّار يوم القيامة_ ذلك الارتباط الذي يدعو كلّ قارئ للقرآن أن يُحاول جهده ليكون من أولئك الذين لا يرهق وجوههم قتر ولا ذلّة، ليُصبح من أصحاب الجنّة الخالدين فيها.

د_ دراسة الألفاظ والتّراكيب:

---

(١١٢) انظر: سورة يونس، الآيتان ٢٤_٢٥.

(١١٣) انظر: سورة يونس، الآيات ٢٨_٣٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لنعد هنا إلى نصّ الآية الكريمة الأولى لفظة لفظة فنُلاحظ في قوله تعالى:(١١٤) ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾.

نُلاحظ تقديم المُسند﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا ﴾ وشبه الجملة على المُسند إليه، وذلك للاختصاص(١١٥)، فالحُسنى لا تكون إلاّ للذين أحسنوا لا غير، ولو أُخّر هذا الجار والمجرور لما أعطى معنى الخصوصيّة المقصود.

ثمّ تأتي جملة ﴿ أَحْسَنُوا ﴾ بدلاً من (آمنوا) رغم ضرورة الإيمان وأهميّته لأنّه "إذعان النّفس للحقّ على سبيل التّصديق وذلك باجتماع ثلاثة أشياء: تحقيق بالقلب، وإقرار باللّسان، وعمل بحسب ذلك بالجوارح" (١١٦)، إلاّ أنّ ﴿ أَحْسَنُوا ﴾ هنا أكثر سلاسة ومُشاكلة(١١٧) لما

---

(١١٤) سورة يونس الآية ٢٦.

(١١٥) عبدالفتاح لاشين، **صفاء الكلمة**، ط بدون، الرّياض، ١٩٨٣م، دار المرّيخ، ص١٩٩. (بتصرّف)، كذا انظر ما جاء في باب تقديم المُسند: محمّد أبو موسى، **خصائص التّراكيب (دراسة تحليليّة لمسائل علم المعاني)**، ط٢، القاهرة، ١٩٨٠م، مكتبة وهبة، ص٢٤٨-٢٤٩. (بتصرّف)

(١١٦) أبو القاسم الحسين بن محمّد الرّاغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق محمد سيّد كيلاني، ط بدون، بيروت، بدون تاريخ، دار المعرفة للطّباعة والنّشر، مادّة (أمن).

(١١٧) المُشاكلة: وقوع الشّيء بلفظ غيره لوقوعه معه أو في صُحبته. انظر: بكري شيخ أمين، **البلاغة في ثوبها الجديد (علم البديع)**، ص١٩٣. (بتصرّف)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بعدها وهي كلمة ﴿ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ ، فضلاً عن أنّ الإحسان "يُقال على وجهين: أحدهما الإنعام على الغير، يُقال أحسن إلى فلان، والثّاني إحسان في فعله، وذلك إذا علم علمًا حسنًا أو عمل عملاً حسنًا، وعلى هذا قول أمير المؤمنين _ﷺ_: "النّاس أبناء ما يُحسنون" أي منسوبون إلى ما يعلمون وما يعملونه من الأفعال الحسنة"(١١٨)، فضلاً عن أنّ الإحسان أعمّ من الإيمان.إلاّ أنّه هنا أريد به إحسان المؤمنين بالذّات لأنّ الحسنى فُسّرت بالجنّة(١١٩)، والجنّة لا تكون إلاّ للمؤمنين، ثمّ تأمّل بلاغة حذف المفعول به بعد﴿ أَحْسَنُوا ﴾(١٢٠)، والذي يُعطي القارئ للآية أو سامعها سعة في التّفكير في تقدير هذا المحذوف، فما الذي يُمكن أن يُحسنه المرء لينال الجنّة؟! القول أم العمل أم كليهما؟ أم أنّ المراد إثبات معنى الإحسان للفاعل؟!

أمّا قوله الحسنى، فالمعلوم أنّها الجنّة ولكن ما قيل عن جملة﴿ أَحْسَنُوا ﴾ واختيارها في السّياق، يُقال هنا عن لفظة (الحسنى) وتفضيل

---

(١١٨) أبو القاسم الحسين بن محمد الرّاغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، مادّة (حسن).

(١١٩) انظر ص ٢٧ من البحث.

(١٢٠) هو من إيجاز الحذف في المفرد. انظر: محمد محمد أبو موسى، **خصائص التّراكيب(دراسة تحليليّة لمسائل علم المعاني)**، ط٢، القاهرة، ١٩٨٠م، مكتبة وهبة، ص٢٧٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

السّياق لها عن لفظة (الجنّة) رغم اتّفاق المُفسّرين أنّها المراد بها الجنّة.(١٢١)

يقول صاحب التّحرير والتّنوير: "والحُسنى صفة أنثى الأحسن، ثمّ عوملت معاملة الجنس فأدخلت عليها لام تعريف الجنس فبعدت عن الوصفيّة ولم تتبع موصوفها. وتعريفها يُفيد الاستغراق، مثل البشرى، ومثل الصّالحة التي جمعها الصّالحات. والمعنى: للذين أحسنوا جنس الأحوال الحسنى عندهم، أي لهم ذلك في الآخرة.."(١٢٢).

ثمّ يمضي في قوله إلى أن يُبيّن فيه أنّ القرآن قد صيّر لفظ (الحُسنى) عَلَمًا بالغلبة على الجنّة ونعيمها من حصول الملاذ العظيمة.(١٢٣)

ثمّ يأتي قوله تعالى ﴿ وَزِيَادَةٌ ﴾ فـ(الواو) عاطفة، أمّا لفظة (زيادة) فما أجمل ولا أبلغ من وقوعها هنا... لاسيّما إذا قورنت بلفظة أخرى قد يُظنّ أنّها تُؤدّي نفس الغرض مثل (أكثر)؛ فالمعلوم أنّ الكثرة والقلّة

---

(١٢١) أبو الفداء إسماعيل بن كثير، **تفسير ابن كثير**، ج٢ ، ص٤١٥ – وأبو جعفر بن جرير الطّبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج١١، ص١٠٤.

(١٢٢) محمّد الطّاهر بن عاشور، **تفسير التّحرير والتّنوير**، ج١١، ص١٤٦.

(١٢٣) المرجع السابق، ص١٤٦. (بتصرّف)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لاتستعملان إلا في الكمّية المنفصلة كالأعداد، قال تعالى: (١٢٤)﴿ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴾، وقال أيضًا: (١٢٥)

﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾.

أمّا الزّيادة فمعناها: "أن ينضمّ إلى ما عليه الشّيء في نفسه شيء آخر، يُقال زدته فازداد" (١٢٦)، وقوله تعالى: (١٢٧)﴿ وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ﴾.

والزّيادة قد تكون محمودة كما هي في الآية الكريمة، أي النّظر في الجنّة إلى وجه الله تعالى(١٢٨)، وكما قال تعالى في موضع آخر: (١٢٩)﴿ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ﴾ أي أعطاه من العلم والجسم قدرًا يزيد على أهل زمانه.

وقد تكون الزيادة مكروهة مثل ما جاء في قوله تعالى: (١٣٠)﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾.

---

(١٢٤) سورة المؤمنون الآية ٧٠.

(١٢٥) سورة البقرة الآية ٢٤٩.

(١٢٦) أبو القاسم الحسين بن محمّد الرّاغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، مادّة (زاد).

(١٢٧) **سورة يوسف الآية ٦٥.**

(١٢٨) **أبو القاسم الحسين بن محمّد الرّاغب الأصفهاني)، المفردات في غريب القرآن، مادّة (زاد).**

(١٢٩) **سورة البقرة الآية ٢٤٧.**

(١٣٠) **سورة فاطر الآية ٤٢.**

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولا أدلّ على دقّة اختيار لفظة ﴿ زِيَادَةٌ ﴾ في السّياق من غيرها من الحديث الوارد عن صهيب عن النبي ـﷺـ قال: "إذا دخل أهل الجنّة الجنّة، نادى منادٍ إنّ لكم عند الله موعدًا، قالوا: ألم يُبيّض وجوهنا ويُنجّنا من النّار ويُدخلنا الجنّة؟ قالوا: بلى، فيكشف الحجاب، قال: فوالله ما أعطاهم شيئًا أحبّ إليهم من النّظر إليه"(١٣١)، فالزّيادة هنا هي نعيم مضاف إلى نعيم الجنّة وهي لذّة النّظر إلى وجه الله ـتبارك وتعالىـ وهو أكرم لهم وأشرف، وهذا المعنى لايؤدّيه لفظ بديل مثل (أكثر).

ثمّ يأتي قوله:﴿ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ﴾ فهؤلاء الذين أحسنوا إحسانًا يليق بمكانتهم التي أعدّها لهم ـعزّ وجلّـ يلزم وجوههم وصف ثابت يُعرفون به يوم القيامة وهو عدم غُشيان الظّلمة أو ما يُشبه الدّخان لوجوههم، وقد يكون ذلك بسبب الكذب الدّائم(١٣٢) بالنّسبة لمن هم عكسهم.

أمّا قوله ﴿ وَلَا ذِلَّةٌ ﴾ فالمراد لايبدو على وجوههم أثر الذلّة التي تبدو على وجه الذّليل، وهو وصف صريح في مَن رضي الله عنهم وأدخلهم

---

(١٣١) أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، **سنن التّرمذي (الجامع الصّحيح)**، مراجعة عبدالرحمن محمد عثمان، ط٢، بيروت، دار الفكر، ١٩٧٤م، ج٤، ص٩٢، (باب ما جاء في رؤية الرّب تبارك وتعالى).

(١٣٢) أبو القاسم الحسين بن محمّد الرّاغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، مادّة (رهق، قتر).(بتصرّف)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الجنّة، وتعريض بمن كسبوا السيّئات(١٣٣)، وعبّر بلفظ الوجه؛ لأنّه أكرم ما في الإنسان وأشرفه، ولظهور أثر السّرور والحزن عليه.(١٣٤)

ذلك ما جاء في تفسير هذه الجملة ﴿ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ﴾.

إلاّ أنّني أرى في مجيء جملة ﴿ يَرْهَقُ ﴾ هنا دقّة وبلاغة أكثر من مجيء جملة أخرى قد تُؤدّي نفس المعنى وهي على سبيل المثال: (ولايُصيب وجوههم رهق).

أمّا الدقّة فتبدو في تعدّي الفعل ﴿ يَرْهَقُ ﴾ على لفظ ﴿ وُجُوهَهُمْ ﴾ وما أضفاه هذا التّعدّي من إيحاء بالمعنى المراد.

وأمّا بلاغتها فتبدو في إيجاز الحذف في التّركيب ﴿ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ﴾ بدلاً من القول: (ولايُصيب وجوههم رهق ولا قتر ولا ذلة).

كذا بدت الدقّة في مجيء اللفظ ﴿ قَتَرٌ ﴾ في السّياق الكريم بدلاً من (غبار)، لتناسب جرسها مع جارتها ﴿ يَرْهَقُ ﴾.

كذلك يُلاحظ أنّ لفظ ﴿ ذِلَّةٌ ﴾ هنا أكثر إيحاءً بمعناه من مرادفه (هوان)، فضلاً عن خفّته ورشاقته في سياق الآية الكريمة.

---

(١٣٣) محمد الطّاهر بن عاشور، **تفسير التّحرير والتّنوير**، ج١١، ص١٢٢ (بتصرّف)

(١٣٤) محمد بن يوسف أبو حيّان الأندلسي، **تفسير البحر المحيط**، ج٥، ص١٤٧. (بتصرّف)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثمّ يأتي في نفس الآية الكريمة قوله: (١٣٥) ﴿ أولئك أصحاب الجنّة هم فيها خالدون ﴾.

ويُلاحظ أنّ الإشارة هنا إلى نفس الفئة المتحدّث عنها وهم الذين (أحسنوا)، إلاّ أنّ الإشارة تأتي باللفظ ﴿ أولئك ﴾ الذي لايُستخدم إلاّ للبعيد، وذلك لعلوّ شأنهم ورفعة منزلتهم عند خالقهم _عزّ وجلّ_(١٣٦)، ولم لا يُشار إليهم بـ(أولئك) وهم أصحاب الجنّة الذين كُتب لهم الخلود فيها ؟!

ثمّ انظر إلى ضمير الفصل ﴿ هُمْ ﴾ وتوسُّطه بين المُسند إليه والمُسند وما أفاده من تأكيد الجملة(١٣٧)، فضلاً عن إفادته قصر الخلود عليهم دون سواهم.

كما أنّ في تقديم الجار والمجرور ﴿ فيها ﴾ على الخبر ﴿ خالدون ﴾ قصرًا آخر يدلّ على أنّ الخلود مقصور على الجنّة دون سواها.(١٣٨)

كما أنّني أجد في الإخبار بلفظ ﴿ خالدون ﴾ بدلاً من (مسرورون) أهميّة كبرى؛ إذ إنّ الجنّة قد عُلم ما فيها من سرور وسعادة ونعيم ... ولا

---

(١٣٥) سورة يونس الآية ٢٦.

(١٣٦) محمد أبو موسى، خصائص التّركيب (دراسة تحليليّة لمسائل علم المعاني)، ص١٥٤.

(١٣٧) من المؤكدات في الجملة توسُّط ضمير الفصل بين المبتدأ والخبر. انظر: فضل حسن عبّاس، البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)، ط١، عمان، دار الفرقان، ١٩٨٥م، ص٧٥.

(١٣٨) من طرق القصر تقديم ما حقه التّأخير. انظر: المرجع السابق، ص٢٨٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يحتاج الأمر إلى الإخبار عمّا فيها مرّة أخرى، وإنّما ما يحتاج إليه السّامع إمكانيّة الاستمرار والخلود في هذا النّعيم أم عدم ذلك.

ويُلاحظ هنا مجيء جملة ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ ... ﴾ منفصلة عمّا قبلها لكمال اتّصالها معنويًّا بما قبلها؛ إذ إنّها نتيجة لما سبق، فلا يحتاج الأمر إلى عطفها.(١٣٩)

كذا قوله ﴿ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ عبارة عن جملة مفصولة عمّا قبلها لشبه كمال الاتّصال.(١٤٠)

وهكذا نقول أنّ جملة ﴿ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ﴾ استئنافيّة لا محلّ لها من الإعراب، كذا جملة ﴿ أَحۡسَنُواْ ﴾ صلة الموصول أيضًا لا محلّ لها من الإعراب، أمّا قوله: ﴿ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ ﴾ فهي معطوفة على الاستئنافيّة "ويجوز أن تكون الواو حاليّة، والجملة خبر لمبتدأ محذوف تقديره (هم)، والجملة الاسمية حال عامله الاستقرار الذي تعلّق به الخبر"(١٤١)، وجملة ﴿ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ في محلّ رفع خبرٍ ثانٍ للمبتدأ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ .(١٤٢)

---

(١٣٩) محمد الطّاهر بن عاشور، **تفسير التّحرير والتّنوير**، ج١١، ص١٤٧. (بتصرّف)

(١٤٠) انظر ما ذُكر عن شبه كمال الاتّصال في الهامش رقم (٩٠) من هذا البحث.

(١٤١) محمود صافي، **الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه**، ج١١، ص١١٢.

(١٤٢) المرجع السّابق، ج١١، ص١١٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أمّا قوله: (١٤٣)﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾، فيُلاحظ ابتداء الآية بالواو العاطفة على ما قبلها، ونجد أيضًا المقابلة بين الآيتين:﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ... ﴾ وبين قوله:﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا ... ﴾ ليُبيّن لنا السّياق الكريم بهذه المقابلة العمل وجزاءه في آيتين متتاليتين، وحتّى يرتبط العمل والجزاء في ذهن السّامع مباشرة وليدفعه إلى التّدبّر والاختيار في آن واحد.

ويُعلِّل أبو حيّان مجيء صلة المؤمنين بـــ﴿ أَحْسَنُوا ﴾ ، وصلة الكافرين بـــ﴿ كَسَبُوا ﴾ بقوله:

"وجاءت صلة المؤمنين أحسنوا، وصلة الكافرين كسبوا السيّئات، تنبيهًا على أنّ المؤمن لما خُلِق على الفطرة وأصلها بالإحسان، وعلى أنّ الكافر لما خُلِق على الفطرة انتقل عنها وكسب السيّئات، فجعل ذلك مُحسنًا وهذا كاسبًا للسيّئات، ليدلّ على أنّ المؤمن سلك ما ينبغي. وهذا سلك ما لا ينبغي"(١٤٤)

---

(١٤٣) سورة يونس الآية ٢٧.

(١٤٤) محمد بن يوسف أبو حيّان الأندلسي، **تفسير البحر المحيط**، ص١٤٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فالكسب كما ذكر الرّاغب هو: "ما يتحرّاه الإنسان ممّا فيه اجتلاب نفع وتحصيل حظّ لكسب المال، وقد يُستعمل فيما يظنّ الإنسان أنّه يجلب منفعة ثمّ استجلب به مضرّة"(١٤٥).

وهكذا يتبيّن لنا دقّة اختيار السّياق للفظ ﴿ كَسَبُوا ﴾ مع ﴿ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ بدلاً من لفظ (فعل)، إذ إنّ فاعل السيّئة يتوقّع الخير من ورائها _كما يظنّ هو_ فإذا به لا يجني منها إلاّ عكس توقّعه، والملاحظ أنّ الفعل (كسب) في القرآن جاء في حقل الصّالحات والسيّئات إذ قال تعالى: (١٤٦)﴿ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا ﴾، وقال في موضع آخر: (١٤٧)﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴾.

أمّا الفعل (فعل) فجاء بمعنى "التّأثير من جهة مؤثّر، وهو عام لما كان بإجادة أو غير إجادة، ولما كان بعلم أو غير علم، وقصد أو غير قصد، ولما كان من الإنسان والحيوان والجماد" (١٤٨).

ومن خلال النّظر في معنى كلٍّ من الفعلين (كسب، فعل) بدت دقّة مجيء الجملة: ﴿ كَسَبُوا ﴾ في سياقها، بدلاً من جملة (فعلوا السيّئات)؛ لأنّ

---

(١٤٥) أبو القاسم الحسين بن محمّد الرّاغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، مادّة (كسب).

(١٤٦) سورة الأنعام الآية ١٥٨.

(١٤٧) سورة الأنعام الآية ١٢٠.

(١٤٨) أبو القاسم الحسين بن محمّد الرّاغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، مادّة (فعل).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كسب السيئات يظنّ فيها المنفعة من قبل فاعلها وليست مجرّد القيام بفعل عام.

ونُلاحظ أنّ جملة ﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ اشتملت على إيجاز حذف في المفرد؛ إذ التّقدير (وجزاء الذين كسبوا السيّئات جزاء سيّئة بمثلها).

والسيّئة أريد بها إمّا الشّرك أو مجرّد المعاصي بغير شرك [١٤٩].

ولعلّنا نلمس من خلال هذه المقابلة بين القولين الكريمين: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ... ﴾و﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا ... ﴾ مدى الفضل والكرم الإلهي؛ فالمُحسن يُجازى بالإحسان مع الزّيادة على ذلك ليكون هذا التّصريح في السّياق الكريم حافزًا له على زيادة إحسانه في دنياه.

أمّا المسيء فلا يزاد على إساءته شيئًا، لعلّه يدرك المغزى ويأخذ العبرة من ذلك، وهو يدلّ كما ذكر الرّازي "على أنّ حكم الله في حقّ المحسنين ليس إلاّ الفضل، وفي حقّ المسيئين العدل"[١٥٠].

وقيل إنّ قوله:﴿ بِمِثْلِهَا ﴾ في الآية جار ومجرور في محلّ رفع خبر، أي متعلّقة بمحذوف خبر قامت مقامه، والتّقدير: (جزاء سيّئة كائن بمثلها..)، وقيل: "يجوز أن يتعلّق بجزاء، والتّقدير: (جزاء سيّئة بمثلها كائن) فحُذف الخبر، أو يكون (جزاء) مرفوعًا على تقدير (فلهم جزاء

---

(١٤٩) محمد الشّوكاني، فتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدّراية من علم التّفسير، ج٢، ص٤٣٩.

(١٥٠) الإمام الفخر الرّازي، التّفسير الكبير، ط٣، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ج١٧، ص٨٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سيئة) فتكون (الباء) على هذا التقدير في﴿ بِمِثْلِهَا ﴾ متعلقة بمحذوف، كأنه قيل لهم (جزاء سيئة ثابت بمثلها)، أو تكون مؤكدة أو زائدة"[١٥١].

ويُلاحظ هنا تنكير لفظ (سيئة) للتعميم، بمعنى: أيّ سيئة كانت، مهما كبرت أو صغرت.[١٥٢]

ثمّ تأمل شفافيّة التعبير القرآني في قوله: ﴿ وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ﴾ فالذلة تعني الهوان، أمّا الرّهق فهو غشيان الأمر بقهر، وهذا يعني شدّة الذلّ والقهر لهم.. ولا يكتفي السّياق الكريم للتعبير عن ذلّهم وهوانهم بهذه الجملة المُعبّرة بل ينفي أن يكون لهم أدنى مانع يمنع عنهم عذاب الله وجزاءه فيقول: ﴿ مَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ﴾ وهو تهديد وتأييس.[١٥٣]

ثمّ يأتي بوصف دقيق لوجه من أصابه الذلّ وأرهقه الهوان وخيبة الأمل فيقول تعالى في نفس الآية:[١٥٤] ﴿ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا ﴾، فأيّ تعبير هو أكمل وأكثر دقّة من هذا ؟!

فالوجه لا يكون وجهًا مكشوفًا ومُضيئًا نقيًّا كالوجوه المؤمنة الطيّبة التي تحدّثت عنها الآية المقابلة السّابقة، بل أصبح لشدّة هوا

---

(١٥١) محمد الشّوكاني، فتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدّراية من علم التّفسير، ج٢، ص٤٣٩.

(١٥٢) محمد الطّاهر بن عاشور، تفسير التّحرير والتّنوير، ج١١، ص١٤٨.

(١٥٣) المرجع السّابق، ج١١، ص١٤٨.

(١٥٤) سورة يونس الآية ٢٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وذلّه وانكساره كأنّما أُلبس قطعة من سواد اللّيل يصعُب إزالتها أو إخفاؤها. وقرأ ابن كثير والكسائي: (قِطْعًا) بسكون الطّاء، وهي تعني القطعة أي (بعض)، قال تعالى: (١٥٥)﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ ﴾، وقرأ الآخرون بفتح الطّاء (قَطَعًا)، وهي تعني جمع قطعة.(١٥٦)

وأرى في القراءة الثّانية مبالغة أكثر في أداء المعنى، إذ إنّ الوجه إذا أصيب بأكثر من قطعة سوداء يكون أكثر تشويهًا وبشاعة ممّا لو كُسي كلّه بقطعة سوداء واحدة ـ والله أعلم ـ.

أمّا اللّفظ ﴿ مُظْلِمًا ﴾ فقيل إنّه "نعت لقوله ﴿ قِطَعًا ﴾ ، وقال أبو عليّ الفارسي: ويجوز أن يجعل حالاً، كأنّه قيل: أغشيت وجوههم قطعًا من اللّيل في حال ظلمته" (١٥٧).

ثمّ يأتي بعد هذا الوصف قوله: (١٥٨)﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾، فيُشار بـــ(أولئك) هنا إلى أصحاب النّار رغم قرب الحديث عنهم وذلك لحقارة منزلتهم وانحطاطها، ثمّ يُؤكّد المعنى المثبت لهم في الآية الكريمة بتوسّط ضمير الفصل بين المسند إليه والمسند، فضلاً عن قصر الخلود

---

(١٥٥) سورة هود الآية ٨١.

(١٥٦) الإمام الفخر الرّازي، التّفسير الكبير، ج١٧، ص٨١.(بتصرّف)

(١٥٧) المرجع السّابق، ج١٧، ص٨١.

(١٥٨) سورة يونس الآية ٢٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

على المذكورين دون سواهم، ثمّ يأتي الجار والمجرور ﴿ فِيهَا ﴾ سابقًا للخبر ﴿ خَٰلِدُونَ ﴾ لبيان قَصْر خلودهم في النّار دون سواها، أمّا لفظ ﴿ خَٰلِدُونَ ﴾ هنا فهو أكثر دقّة في موقعه من لفظ (محزونون) الذي ينقل لنا معنى حزنهم في النّار دون خلودهم فيها، والإخبار بالخلود أكثر وقعًا هنا من الإخبار بالحزن.

وجملة: ﴿ مَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ﴾ خبر ثانٍ، أو حال من الذين كسبوا السيِّئات، وجملة: ﴿ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ مفصولة عمّا قبلها لشبه كمال الاتّصال.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الموضع الثالث:

أ_ قال تعالى: (١٥٩)﴿ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ ﴾.

ب_ المعنى العام:

تُشير الآية الكريمة إلى مآل الذين أشركوا بالله يوم القيامة، وهو أن تُقرن أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم بقيود وسلاسل تغلّهم، أمّا ملابسهم التي يلبسونها؛ فهي من قَطِران وهو الذي تهنأ به الإبل(١٦٠)، وقيل هو النّحاس المتناهي في الحرارة، وقيل أصلها (قطرٍ آنٍ) أي النّحاس المُذاب أو الصّفر المُذاب(١٦١)، وذكر ابن كثير أنّ قوله ﴿ مُقَرَّنِينَ ﴾ يعني: "بعضهم إلى بعض قد جمع بين النّظراء أو الأشكال منهم كلّ صنف إلى صنف، كما قال تعالى: (١٦٢)﴿ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ .. ﴾ "(١٦٣)، ولا يكتفى بذلك بل

(١٥٩) سورة إبراهيم الآيات ٤٩-٥١.

(١٦٠) تهنأ به الإبل: أي تداوى به الإبل من الجرب.

(١٦١) محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج١٣، ص٢٥٧. (بتصرّف)

(١٦٢) سورة الصّافات الآية ٢٢.

(١٦٣) أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير ابن كثير، ج٢، ص٥٤٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

"تلفح وجوههم النار فتحرقها" (١٦٤)، وفعل كلّ ذلك بهم جزاءً وفاقًا لأعمالهم وما كسبوه من الآثام في دنياهم.. بينما يجزي الصادقين بصدقهم وأعمالهم الحسنة ما يستحقّونه، فالله _عزّ وجلّ_ عالم بعمل كلّ نفس، سريع الحساب.(١٦٥)

ج_ مناسبة الآية للسّياق:

بالعودة إلى أوّل السّورة الكريمة نُلاحظ أنّها اشتملت على أغراض مختلفة كلّها مرتبطة بالدّعوة والإيمان بها، أو التّحذير من عدم ذلك(١٦٦)، وبيان اتّحاد الغرض من الكتب المنزلة(١٦٧)، وترهيب المشركين وترغيبهم(١٦٨)، والآية الكريمة التي بين أيدينا: (١٦٩)﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾ هي ضمن آيات التّرهيب من سوء العاقبة التي تنتظر الكافرين وتكذيبهم.(١٧٠)

د_ دراسة الألفاظ والتّراكيب:

---

(١٦٤) محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج١٣، ص٢٥٧.

(١٦٥) المصدر السّابق، ج١٢، ص٢٥٨.

(١٦٦) انظر: سورة إبراهيم، الآيات من ١-٣.

(١٦٧) انظر: سورة إبراهيم، الآيات من ٤-١٨.

(١٦٨) انظر سورة إبراهيم، الآيات من ١٩-٥٢.

(١٦٩) سورة إبراهيم الآية ٥٠.

(١٧٠) عبد المتعال الصّعيدي، النّظم الفنّي في القرآن، ص١٦٣. (بتصرف)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لدراسة الآية التي اشتملت على وصف وجوه الكافرين يوم القيامة وهي قوله تعالى:﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾ لابدّ من دراسة الآية السّابقة لها مباشرة لارتباطها بها ارتباطًا واضحًا وهي قوله تعالى: (١٧١)﴿ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴾، فيُلاحظ تسمية الآية الكريمة للمشركين بالمجرمين لأنّ "أصل الجَرْم قطع الثّمرة عن الشّجر" (١٧٢)، ويُقال: "رجل جَارِم، وقوم جِرام، وثمرة جريم، والجُرامَة رديء التّمر المجروم" (١٧٣).

"ثمّ استعير ذلك لكلّ اكتساب مكروه"(١٧٤)، وهكذا تتّضح دقّة السّياق في اختيار لفظة المجرمين بدلاً من الكافرين في موضعها؛ لمناسبتها لما جاء في تعليل هذا العذاب في قوله بعد ذلك: (١٧٥)﴿ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾، إذ الجزاء من جنس العمل _كما هو معلوم_.

أمّا قوله: ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ فالمقصود به يوم القيامة، وقد جاء بطريقة تركيب الظّرف (يوم) مع (إذ) لأنّه معلوم من السّياق أيّ يوم هو من خلال

---

(١٧١) سورة إبراهيم الآية ٤٩.

(١٧٢) أبو القاسم الحسين بن محمد الرّاغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، مادة (جرم).

(١٧٣) المصدر السّابق، مادّة (جرم).

(١٧٤) المصدر السّابق، مادّة (جرم).

(١٧٥) سورة إبراهيم الآية ٥١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الآية السّابقة لها مباشرة وهي قوله تعالى: (١٧٦)﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾، فلو قيل يوم القيامة لكان تكرارًا ممجوجًا فضلاً عن عدم التّناسب الصّوتي لهاتين اللّفظتين مع رفيقاتهما في السّياق.

ثمّ تأمّل قوله:﴿ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴾ فلفظة﴿ مُقَرَّنِينَ ﴾ أصلها القاف والرّاء والنّون، يقول عنها ابن فارس: "القاف والرّاء والنّون أصلان صحيحان، أحدهما يدلّ على جمع شيء إلى شيء، والآخر شيء ينتأ بقوّة وشدّة" (١٧٧).

والأصل الأوّل هو المراد هنا إذ يُقال قارنت بين الشّيئين، أمّا القران فهو الحبل يقرن به شيئان، والقَرَن الحبل أيضًا (١٧٨)، والملاحظ أنّ اللّفظة جاءت بصيغة اسم المفعول مع تضعيف عينها، لتدلّ على المبالغة في الجمع وليس مجرّد الجمع، بل إنّ هذا الصّوت الخارج من حرف الرّاء المشدّدة ﴿ مُقَرَّنِينَ ﴾ أوحى بشدّة السّحب والإرغام على هذا الاقتران والشّد في القيود والأغلال لهؤلاء الكفّار وقرنائهم من الشّياطين يجتمعون فيها _ومن أحبّوا_ كما اجتمعوا في دنياهم على المعاصي _والعياذ بالله_.

---

(١٧٦) سورة إبراهيم الآية ٤٨.

(١٧٧) أبو الحسن أحمد بن زكريّا بن فارس، **معجم مقاييس اللّغة**، مادة (قرن).

(١٧٨) المصدر السّابق، مادة (قرن).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أمّا قوله:﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ ﴾ فالسّرابيل مأخوذة من الفعل (سربل) وهي جمع مفردها سربال أي قميص [١٧٩].

وفي ﴿ قَطِرَانٍ ﴾ أكثر من قراءة، وفي بعضها معنى مختلف عن غيره، فقيل: (قَطِرانٍ) وهي تعني: "قطران الإبل التي تُهنأ به؛ قاله الحسن وذلك أبلغ لاشتعال النّار فيهم"[١٨٠]، وروي أنّه النّحّاس[١٨١].

وقرأ عيسى بن عمر: (قطْرَانٍ) بفتح القاف وتسكين الطّاء، وفيها قراءة ثالثة بكسر القاف وتسكين الطّاء (قِطْرانٍ)، أمّا القراءة الرّابعة فهي (قِطْرٍ آنٍ) رُويت عن ابن عبّاس وأبي هريرة وعكرمة وسعيد بن جبير ويعقوب؛ والقطر: النّحاس والصّفر المُذاب؛ ومنه قوله تعالى: [١٨٢]﴿ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴾، والآن: الذي قد انتهى إلى حرّه"[١٨٣].

---

(١٧٩) المصدر السّابق، مادّة (سربل).

(١٨٠) أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، **تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)**، ج٤، ص٣٦١٤، "المقصود بتُهنأ أي تُطلى به الإبل من الجرب لتُعالج به".

(١٨١) المصدر السّابق، ج٤، ص٣٦١٤.

(١٨٢) سورة الكهف الآية ٩٦.

(١٨٣) أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، **تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)**، ج٤، ص٣٦١٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أمّا قوله:﴿ وَتَغۡشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾ فالجملة ﴿ وَتَغۡشَىٰ ﴾ في محلّ نصب، وهي معطوفة على الجملة الحاليّة (١٨٤)، والمقصود هنا "تضرب وجوههم النّار فتُغشيها" (١٨٥) أيّ تُغطّيها (١٨٦)، وكأنّ التّغطية هنا مناسبة لحالة الحرج الذي أصابهم من سوء أعمالهم، ويُلاحظ هنا مجيء اللّفظ (يغشى) بصيغة المضارع ليدلّ على استمراريّة هذه التغطية وعدم زوال النّار عن وجوههم فضلاً عمّا أفاده تقديم المفعول به﴿ وُجُوهَهُمُ ﴾ على الفاعل وتوسّطه بين الفعل (تغشى) وفاعله ليدلّ على تخصيص تلك الوجوه بتغطية النّار وعذابها الذي لا يكاد يُفارقهم، فهو وصف لازم لوجوههم، وما ذاك إلاّ نتيجة أعمالهم وما كسبوه في حياتهم الدنيا، فيقول المولى ـعزّ وجلّـ:(١٨٧)﴿ لِيَجۡزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾، فلام التّعليل في القول ﴿ لِيَجۡزِيَ ﴾ جاءت مُستقرّة في مكانها مُعبّرة عن خاتمة مُتوقّعة لأمثال هؤلاء الذين لا يستحقّون إلاّ ما كسبوا من آثام وكفر بذلك اليوم الموعود، فالله ـعزّ وجلّـ سريع الحساب.

---

(١٨٤) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، ج٣، ص٢١٣.

(١٨٥) أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، ج٤، ص٣٦١٤.

(١٨٦) أبو القاسم الحسين بن محمد الرّاغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مادة (غشى).

(١٨٧) سورة إبراهيم الآية ٥١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الموضع الرّابع:

أ_ قال تعالى: (١٨٨) ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ۝ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾.

ب_ المعنى العام:

يذكر _سبحانه وتعالى_ في الآية الكريمة وصفًا لوجوه المؤمنين بأنّها "حسنة بهيّة مشرقة مسرورة" (١٨٩) ترى وجه ربّها عيانًا، وقد ذكر ذلك صريحًا في حديث رسول الله _ﷺ_ عندما سأله بعض النّاس عن رؤية ربّهم يوم القيامة فقالوا:"وهل نراه يا رسول الله؟ قال: وهل تُضارُّون في رؤية القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا، يا رسول الله. قال: فإنّكم لا تُضارُّون في رؤيته تلك السّاعة، ثمّ يتوارى، ثمّ يطلع فيُعرّفهم بنفسه، ثمّ يقول: أنا ربّكم فاتّبعوني...إلخ"(١٩٠).

وفي حديث عنه _ﷺ_ أنّه قال: "إنّ أدنى أهل الجنّة منزلة لمن ينظر إلى جنانه وزوجاته ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة،

---

(١٨٨) سورة القيامة الآيات من ٢٢-٢٥.

(١٨٩) أبو الفداء إسماعيل ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج٤، ص٤٥١.

(١٩٠) أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة التّرمذي، سنن التّرمذي (الجامع الصّحيح)، ج٤، ص٩٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غُدوة وعشيّة، ثمّ قرأ رسول الله ـ ﷺ ـ: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ ..."(١٩١).

وقيل إنّ هذه الوجوه نظرت إلى الخالق وحقّ لها أن تنضر بعد أن نظرت إلى خالقها، وهي وجوه المؤمنين من غير شكّ.(١٩٢)

أمّا وجوه الفجّار ـ والعياذ بالله ـ فتكون كالحة في ذلك اليوم الموعود مستيقنة الهلاك، عابسة مكتئبة منتظرة ما ظنّته من سوء العاقبة ودخول النّار. (١٩٣)

ج ـ مناسبة الآيات للسِّياق:

تبدو مناسبة الآيات الكريمات للسِّياق من خلال تأمّل الآيات السَّابقات في السّورة الكريمة، إذ تحدّثت عن يوم القيامة وعظمة المولى ـ عزّ وجلّ ـ وقدرته على جمع العظام وتسويتها بعد أن كانت رميمًا، ثم قدرته على إبراز كلّ الآيات الدّالّة على صدق ذلك اليوم الذي يستقرّ فيه جميع خلقه إلى مقرّهم ذلك اليوم الذي يُنبّؤ فيه الإنسان بما قدّم وأخّر.(١٩٤)

---

(١٩١) المصدر السّابق، ج٤، ص٩٣.

(١٩٢) أبو الفداء إسماعيل ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج٤، ص٤٥١ (بتصرّف)

(١٩٣) أبو جعفر بن جرير الطّبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج٢٩، ص١٩٤. (بتصرّف)

(١٩٤) انظر: سورة القيامة، الآيات من ١-١٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فيكون في ذلك اليوم شاهد على نفسه وإن اعتذر بالقول ممّا قد أتى من المآثم أو ارتكب من المعاصي.

ثمّ ذكرت الآيات التّالية حرص النبيّ ـ ﷺ ـ على حفظ القرآن وعدم نسيانه، وطمأنة الله تعالى له بتكفّله بحفظه وجمعه، وأنّ ما عليه إلاّ الاستماع والمتابعة لجبريل في قراءته.(١٩٥)

ثم عودة الآيات للحديث عن النّاس وأخطائهم وحُبّهم للدّنيا وعدم اكتراثهم بالآخرة، وهنا بدأ وصف الوجوه النّضرة وهي وجوه المؤمنين في الآخرة، الذين يعملون في دنياهم لآخرتهم، ثمّ وجوه الكافرين في الآخرة الذين لم يهتمّوا في دنياهم بذلك اليوم، ولم يعدّوا له عدّتهم من الأعمال الصّالحة.(١٩٦)

ثمّ بدت مناسبة الآيات(١٩٧) لما بعدها في أنّ الآيات التّالية تحدّثت عن أهوال يوم القيامة، وما يُصيب الكافرين فيه، ثمّ عن أصل خلقه ـ سبحانه وتعالى ـ وقدرته ـ عزّ وجلّ ـ على أن يُحيي الموتى كما خلقهم من قبل.(١٩٨)

د ـ دراسة الألفاظ والتّراكيب:

---

(١٩٥) انظر: سورة القيامة، الآيات من ١٣ـ١٩.
(١٩٦) انظر: سورة القيامة، الآيات من ٢٠ـ٢٥.
(١٩٧) انظر: سورة القيامة، الآيات من ٢٠ـ٢٥.
(١٩٨) انظر: سورة القيامة، الآيات من ٢٦ـ٤٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لنعد هنا إلى نصّ الآيات الكريمات لفظة لفظة، قال تعالى: (١٩٩) ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ۝ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾.

يُلاحظ بداية الآية الكريمة بلفظ ﴿ وُجُوهٌ ﴾ وهي جمع، مفرده (وجه)، "وهو الجارحة المعروفة، قال تعالى:(٢٠٠) ﴿ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ ﴾، واستعمل في مستقبل كلّ شيء وفي أشرفه، فقيل: وجه كذا ووجه النّهار، لأنّه أوّل ما يستقبلك من الإنسان، وأشرف ما في ظاهر البدن" (٢٠١).

وربّما عُبِّر عن الذّات بالوجه مثل قوله تعالى: (٢٠٢) ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾.

وفي الآية الكريمة أريد بالوجه الجارحة المعروفة، وعُبِّر بالوجه مع إرادة جملة الإنسان كلّه إذ إنّ رهبة الموقف وأهمّيته تدعو المرء إلى التّحفّز والانتظار بكلّ مشاعره وكيانه وبدنه، وعلى هذا فهي مجاز مرسل

---

(١٩٩) سورة القيامة الآيات من ٢٢-٢٥.

(٢٠٠) سورة المائدة الآية ٦.

(٢٠١) أبو القاسم الحسين بن محمد الرّاغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مادة (رغب). (بتصرّف)

(٢٠٢) سورة الرّحمن الآية ٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

علاقته الجزئيّة.(٢٠٣) فالآية الكريمة جاءت بلفظ ﴿ وُجُوهٌ ﴾ مع إرادة الكلّ لأنّ الوجه هو أوّل وأكرم ما يلقاك من الإنسان فضلاً عن كونه أشرف ما فيه.

أمّا صيغة النّكرة في اللّفظ ﴿ وُجُوهٌ ﴾ فجاءت " للتّنويع والتّقسيم "(٢٠٤)، وجاز الابتداء بالنّكرة هنا لأنّها تخصّصت بقوله ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ (٢٠٥)، وقيل إنّه ابتدأ بالنّكرة " لأنّ الموضع موضع تفصيل "(٢٠٦)، أمّا لفظ ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ فهو " معمول لناضرة "(٢٠٧).

---

(٢٠٣) المجاز المرسل: استعمال اللفظ في غير ما وضع له في اللغة لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الوضعي، والعلاقة في "المرسل" ملابسة ومناسبة غير المشابهة وله علاقات مختلفة منها الجزئيّة، وشرطها أن يكون هذا الجزء له مزيد اختصاص في الكلّ. انظر: أحمد الهاشمي، **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، ط١٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ، ص٢٩٢. (بتصرّف)

(٢٠٤) محمد الطّاهر بن عاشور، **تفسير التّحرير والتّنوير**، ج١٤، ص٣٥٢.

(٢٠٥) محمد بن يوسف أبو حيّان الأندلسي، **تفسير البحر المحيط**، ج٨، ص٣٨٨.

(٢٠٦) أبو الفضل شهاب الدّين الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني**، ج٢٩، ص١٨٢. (وقد اختار هذا الرّأي أبو حيّان في الرّد على ابن عطيّة)

(٢٠٧) محمد بن يوسف أبو حيّان الأندلسي، **تفسير البحر المحيط**، ج٨، ص٣٨٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقوله:﴿ نَّاضِرَةٌ ﴾ اسم فاعل من الفعل (نَضَر) وهو "أصل صحيح يدل على حُسن وجمال وخلوص. منه النَّضرة: حسن اللّون، ونَضُرَ يَنْضُر. ونضَّر الله وجهه: حسَّنه ونوَّره"(٢٠٨). ويُقال هذا في كلّ مُشْرقٍ حسن.

يقول الألوسي: "وجوه كثيرة وهي وجوه المؤمنين المخلصين يوم إذ تقوم القيامة، بهيّة مُتهلِّلة من عظيم المسرَّة، يُشاهد عليها نضرة النّعيم" ،وهو خبر للمبتدأ﴿ وُجُوهٌ ﴾ (٢٠٩)، وقرأها زيد بن علي (نَضِرة) بغير ألف. (٢١٠)

ثمّ انظر إلى قوله:﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ وما أفاده تقديم الجار والمجرور على قوله: ﴿ نَاظِرَةٌ ﴾ من أهمّية النظر إلى الرّب _عزّ وجل_، فضلاً عن دقَّة مجيء اللّفظ (ربّ) في مكانه من السِّياق وإضافته إلى الهاء العائدة عليهم؛ إذ إنّ الربّ تعني " الملك والسيِّد والمُدبِّر والمربِّي والمُنعم "(٢١١)، ويُراد بها الله _عزّ وجلّ_ ملك الملوك. فهم ينظرون إلى ربّهم رغبة إليه

(٢٠٨) أبو الحسن أحمد بن زكريّا بن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، مادة (نضر).

(٢٠٩) أبو الفضل شهاب الدّين الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني**، ج٢٩، ص١٨٢.

(٢١٠) محمد بن يوسف أبو حيّان الأندلسي، **تفسير البحر المحيط**، ج٨، ص٣٨٨.

(٢١١) محمد مرتضى الزّبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، ط١، القاهرة، بدون تاريخ، مادة (رب).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ورهبة منه، يسعدون برؤيته ويرجون عطاءه وعفوه _سبحانه وتعالى_،

وقيل:

"معنى كونها ناظرة إلى ربّها أنّها تراه تعالى مستغرقة في مطالعة جماله، بحيث تغفل عمّا سواه، وتُشاهده تعالى على ما يليق بذاته سبحانه"(٢١٢).

ومن الجانب النّحوي اللّفظ ﴿ نَاظِرَةٌ ﴾ خبر ثانٍ للمبتدأ ﴿ وُجُوهٌ ﴾ أو نعت لـ﴿ نَّاضِرَةٌ ﴾ ، و ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا ﴾ مُتعلِّق بـ﴿ نَاظِرَةٌ ﴾ (٢١٣).

وقيل: قد يكون المقصود على حذف مضاف والنّظر بمعنى الانتظار أي إلى إنعام ربّها منتظرة، وتُعُقِّب هذا القول بأنّ الحذف خلاف الظّاهر.(٢١٤)

وأرجّح هنا الرّأي الأوّل، وهو النّظر على حقيقته وبما يليق بجلاله _عزّ وجلّ_ إذ ذكرت كتب الصّحاح الأحاديث الواردة عن رسول الله _ﷺ_ في صحّة رؤية المؤمنين لربّهم _عزّ وجلّ_ يوم القيامة _وقد ذكر البحث اثنين منها قبل ذلك_.(٢١٥)

---

(٢١٢) أبو الفضل شهاب الدّين الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، ج٢٩، ص١٨٢.

(٢١٣) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، ج٢٩، ص١٧٤. (بتصرّف)

(٢١٤) أبو الفضل شهاب الدّين الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، ج٢٩، ص١٨٢.

(٢١٥) انظر: ص (٣٠، ٤٢) من هذا البحث.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هذا وقد اشتملت اللّفظتان ﴿ نَّاضِرَةٌ ﴾ و ﴿ نَاظِرَةٌ ﴾ على جناس ناقص مُحرّف(٢١٦)، وسجع مطرّف أكسباهما توافقًا وانسجامًا في الجرس والصّوت واضحين.

ثمّ جاء قوله تعالى: ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ۝ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾ فبدأت الآية بالواو العاطفة على الجملة الاستئنافيّة السّابقة ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾ لتُصبح هذه الآية ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴾ معطوفة على ما قبلها لا محلّ لها من الإعراب.(٢١٧)، كما أنّ الواو أفادت الوصل بين هذه الآية وسابقتها.(٢١٨)

وما قيل عن ﴿ وُجُوهٌ ﴾ قبل ذلك يُقال هنا، إذ المراد بها الكثرة وبيان النّوع الآخر من الوجوه يوم القيامة لتقابل(٢١٩) هذه الآية ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴾ الآية السّابقة ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾ .

---

(٢١٦) الجناس المحرّف: أحد أنواع الجناس النّاقص، وفيه تتوافق اللّفظتان في عدد الحروف وشكلها وترتيبها مع اختلافها في نوعها. انظر: فضل حسن عبّاس، **البلاغة فنونها وأفنانها (علم البيان والبديع)**، ط١، عمان، ١٩٨٧م، دار الفرقان للنّشر والتّوزيع، ص٣٠١.

(٢١٧) محمود صافي، **الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه**، ج٢٩، ص١٧٤.

(٢١٨) صَحَّ الوصل بين الآيتين بالواو لتوافقهما خبرًا فضلاً عن صلتهما ببعضهما في المعنى. انظر ما جاء عن ضوابط الفصل والوصل: بكري شيخ أمين، **البلاغة في ثوبها الجديد (علم المعاني)**، ط٣، بيروت، ١٩٩٠، دار العلم للملايين، ص١٨٩.

(٢١٩) سبق توضيح هذا الفنّ في هامش رقم (١٠٢).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقوله ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ أعيد هنا للتأكيد على ذلك اليوم فضلاً عن أهمّيّة إعادة اللّفظ لتوافق الجرس مع الآيتين قبلها، أمّا قوله ﴿ بَاسِرَةٌ ﴾ فهي وجوه الكافرين الكالحة لتيقّنها من العذاب الواقع بها لا محالة، ولِمَ لا تكون كالحة كئيبة ما دامت حُجبت عن النّظر إلى جمال الكمال _عزّ وجلّ_، يقول سيّد قطب: "هي الوجوه الكالحة المنقبضة التّعيسة، المحجوبة عن التّطلّع والنّظر، بخطاياها وارتكاسها وكثافتها وانطماسها. وهي التي يُشغلها ويُحزنها ويخلع عليها البسر والكلوحة توقّعها أن تحلّ بها الكارثة القاصمة للظّهر المُحطّمة للفقار، .. الفاقرة.. وهي من التّوقّع والتّوجّس في كرب وكلوحة وتقبّض وتنغيص.."(٢٢٠)

ثمّ يأتي قوله ﴿ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾ وهو استئناف بياني لبيان سبب هذا البسور الذي أصابها(٢٢١)، وعلى ذلك يكون بين الآيتين فصل لشبه كمال الاتّصال(٢٢٢).

---

(٢٢٠) سيّد قطب، **في ظلال القرآن**، ط١١، القاهرة، دار الشّروق، ١٩٨٢م، ج٦، ص٣٧٧٢.

(٢٢١) محمد الطّاهر بن عاشور، **تفسير التّحرير والتّنوير**، ج٤، ص٣٥٦. (بتصرّف)

(٢٢٢) سبق التّعريف بهذا الفصل في هامش رقم (٩٠) من هذا البحث

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أمّا قوله: ﴿ تَظُنُّ ﴾ فهو فعل "بمعنى توقن أو يغلب على اعتقادها وتتوقّع أن يفعل بها.."(٢٢٣)، ويُلاحظ هنا دقّة مجيء الفعل ﴿ يُفْعَلَ ﴾ بصيغة المبني للمجهول وذلك لما يحتويه معنى الجملة من وقوع العذاب بهؤلاء، وذلك هو شأن القرآن الكريم لا يُنسب فيه العذاب إلى المولى ـعزّ وجلّـ إذ إنّه ـتعالىـ كتب على نفسه الرّحمة... قال تعالى:(٢٢٤)﴿ وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾، وقال عزّ من قائل: (٢٢٥)﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴾، بينما جاء في موضع آخر قوله تعالى: (٢٢٦)﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾، وأمثال هذه الآيات كثيرة في القرآن الكريم.

كذا نُلاحظ تقديم الجار والمجرور ﴿ بِهَا ﴾ وكان الأولى تقديم ﴿ نَاقِرَةٌ ﴾ لأنّه نائب فاعل لـ﴿ يُفْعَلَ ﴾ ، ولعلّ في هذا التّقديم دليل على ظنّهم اختصاص العذاب بهم دون سواهم.

---

(٢٢٣) محمد بن يوسف أبو حيّان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج٨، ص٣٨٩.

(٢٢٤) سورة الفجر الآية ٢٣.

(٢٢٥) سورة الرّحمن الآية ٣٥.

(٢٢٦) سورة التّوبة الآية ٧٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أمّا قوله: ﴿ فَاقِرَةٌ ﴾ فأصله (فَقَر)، يقول ابن فارس: "الفاء والقاف والرّاء أصلٌ صحيح يدلّ على انفراج في شيء من عضو وغير ذلك، من ذلك الفَقَار للظَّهر، الواحدة فَقَارةٌ، سُمِّيت للحزوز والفصول التي بينها"(٢٢٧).

والفقير: المكسور فَقَار الظّهر. وقيل سُمّي الفقير بذلك لذلّته ومسكنته كأنّه مكسور فَقَار الظّهر.(٢٢٨) والفاقرة هي الدّاهية، كأنّها كاسرة لفَقَار الظّهر.

ويُستخلص من هذه المعاني اللُّغويّة السّابقة: أنّ هؤلاء الكفّار يظنّون بل ويوقنون بما ينتظرهم من عذاب يوم القيامة إلى الحدّ الذي تُقصم فيه ظهورهم، بل إنّني أرى دِقّة ظاهرة في تفضيل لفظ ﴿ فَاقِرَةٌ ﴾ على غيره في السِّياق، إذ المقام مقام جزاء على أعمال قُدِّمت من قبل، فكما نعلم جاءت الآيات السّابقة(٢٢٩) مُبيِّنة وصف وجوه المؤمنين النّضرة النّاظرة إلى ربّها في شوق وسعادة ظاهرين.

أمّا قوله: (٢٣٠)﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ۝ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾، فهي وصف لوجوه قوم لم يُقدِّموا لأنفسهم ما يُدَّخر لهذا اليوم العصيب، لم يفعلوا شيئًا يُنقذهم من العذاب المُنتظر، فهم فقراء العمل، فقراء الجهد، فقراء

---

(٢٢٧) أبو الحسن أحمد بن زكريّا ابن فارس، **معجم مقاييس اللّغة**، مادّة (فقر).

(٢٢٨) المصدر السابق، مادّة (فقر). (بتصرّف)

(٢٢٩) انظر: سورة القيامة الآيتان ٢٢-٢٣.

(٢٣٠) سورة القيامة الآيتان ٢٤-٢٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الإيمان، فلا يليق بهم إلاّ لفظ الفاقرة، فالجزاء لا يكون إلاّ من جنس العمل، لذا حَسُن مجيء لفظ ﴿ فَاقِرَةٌ ﴾ وفُضّل على رديفه مثل (داهية) هذا فضلاً عن مناسبته للفاصلة قبله.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الموضع الخامس:

أ_ قال تعالى: (٢٣١)﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۝ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ۝ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴾.

ب_ المعنى العام:

وضَّحت الآيات الكريمات وصفًا لكلٍّ من وجوه المؤمنين والكافرين في ذلك اليوم الموعود، فأثبتت الإشراق والبهجة والإضاءة لوجوه السّعداء؛ لما تُشاهده من النّعيم المُقيم والبهجة الدّائمة، بينما الغُبار والكُدرة والظُّلمة تعلو وجوه التّعساء _والعياذ بالله_ لسوء ما ينتظرونه من عذاب مُقيم.(٢٣٢)

ج_ مناسبة الآيات للسِّياق:

تبدو مناسبة الآيات الذكورة آنفًا للسِّياق الكريم من خلال قراءة الآيات السّابقة لها مباشرة ثمّ الآية اللاحقة بها، أمّا صلتها بما قبلها فتبدو في أنّ الآيات السابقة(٢٣٣) تتحدّث عن أهوال ذلك اليوم الذي لا يلتفت فيه الإنسان لأحدٍ من أهله لشِدّة شغله بنفسه وما ينتظره فيه، فكان

---

(٢٣١) سورة عبس الآيات من ٣٨-٤١.

(٢٣٢) محمد بن محمد العمادي أبي السّعود، **تفسير أبي السّعود: إرشاد العقل السّليم إلى مزايا القرآن الكريم**، ج٩، ص١١٣. (بتصرّف)

(٢٣٣) انظر: سورة عبس الآيات من ٣٤-٣٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من المناسب أن تأتي بعد ذلك الآيات التي تحمل وصفًا لوجوه السعداء ثم لوجوه الأشقياء والتعريف بهم.(٢٣٤)

د_ دراسة الألفاظ والتراكيب:

لدراسة الآيات الكريمات لابدّ من العودة إليها لفظة لفظة، وآية آية، يقول تعالى:﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴾.

يُلاحظ ابتداء الآية باللّفظ ﴿ وُجُوهٌ ﴾ وكما ذكرنا في تحليل الآية السّابقة من سورة القيامة(٢٣٥) هي جمع مفرده (وجه) وهو مبتدأ خبره ﴿ مُّسْفِرَةٌ ﴾، وجاز الابتداء بها رغم كونها نكرة لأنّ المقام مقام تقسيم وتنويع.

أمّا قوله ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ فهو ظرف مضاف لـــ(إذ) مُتعلّق بالخبر ﴿ مُّسْفِرَةٌ ﴾ : "وأعيد لتأكيد الرّبط بين الشّرط وجوابه ولطول الفصل بينهما، والتّقدير: (وجوه مسفرة يوم يفرّ المرء من أخيه إلى آخره. وقد أغنت إعادة ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ عن ربط الجواب بالفاء"(٢٣٦).

---

(٢٣٤) انظر: سورة عبس الآيات من ٣٨-٤١.

(٢٣٥) انظر: ما قيل عن هذا اللفظ في ص ٤٦-٤٧ من البحث.

(٢٣٦) محمد الطاهر بن عاشور، **تفسير التّحرير والتّنوير**، ج١٥، ص١٣٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقوله ﴿ مُسْفِرَةٌ ﴾ اسم فاعل من أسفر الصّبح إذا أضاء: أي ذات الإسفار. جاء في المفردات في غريب القرآن:

"السَّفر كشف الغطاء، ويختصُّ ذلك بالأعيان نحو سَفَر العمامة عن الرّأس والخِمار عن الوجه، وسَفْر البيت كنسُهُ بالمِسفَر أي المِكنَس، وذلك إزالة السَّفير عنه وهو التّراب الذي يُكنس منه، والإسفار يختصُّ باللّون نحو:(٢٣٧)﴿ وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ ﴾ أي أشرق لونه"(٢٣٨).

وأرى أنّ التّعبير بقوله ﴿ مُسْفِرَةٌ ﴾ مناسب في مكانه، بليغ في جملته، إذ إنّ الآيات المقابلة لها ﴿ وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ ۝ تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴾ تتحدّث عن الغبار الذي يعلو وجوه الكفرة الفجرة، وبما أنّ "السَّفير" هو التّراب فأرى في مجيء لفظة﴿ مُسْفِرَةٌ ﴾ دِقَّة واضحة عن مجيء المرادف له (مشرقة)؛ لأنّها تعني خلوّ هذه الوجوه المؤمنة من التّراب والغبار، فهي لم تعمل شيئًا يُلوّث وجوهها أو يُكدّرها كوجوه غيرهم من الكُفّار.

ثمّ انظر إلى ما يُتمّم هذا الوصف ويزيده بهجة وإشراقًا وهو قوله تعالى بعد ذلك:(٢٣٩)﴿ ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ ﴾، فقوله ﴿ ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ ﴾ مجاز عقلي

---

(٢٣٧) سورة المدّثر الآية ٣٤.

(٢٣٨) أبو القاسم الحسين بن محمد الرّاغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، مادّة (سفر).

(٢٣٩) سورة عبس الآية ٣٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

علاقته المحليّة، إذ إنّ الوجوه موضع يحلّ به الضّحك والاستبشار(٢٤٠)، وقوله ﴿ ضَاحِكَةٌ ﴾ كناية عن فرط السّرور والسّعادة التي تشعر بها نفوس المؤمنين فظهر ذلك على وجوههم، أمّا قوله ﴿ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴾ فهو كناية عن فرحتهم بما ينتظرهم في ذلك اليوم من إكرام ونعيم فائضين، بسبب ما قدّموه في حياتهم من أعمال صالحة، فقد قيل: إنّ بياض الوجوه يوم القيامة من قيام اللّيل، وقيل: من آثار الوضوء، وقيل: من طول ما أغبرت في سبيل الله.(٢٤١)

ومهما كانت الأسباب فالعبرة هنا بعموم اللّفظ لا بخصوص السّبب.

ثمّ انظر إلى الوصف المقابل، وهو وصف وجوه الكُفّار ـ والعياذ بالله ـ إذ يقول تعالى:(٢٤٢) ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴾، فالواو عاطفة للجملة على الجملة الاستئنافيّة السّابقة ﴿ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴾. والجملة المعطوفة ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴾ لامحلّ لها من الإعراب، وما قيل في ﴿ وُجُوهٌ ﴾ و﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ قبل ذلك ـ يُقال هنا ـ(٢٤٣).

---

(٢٤٠) محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التّحرير والتّنوير، ج١٥، ص١٣٨. (بتصرّف)

(٢٤١) محمد بن محمد العمادي أبي السّعود، تفسير أبي السّعود: إرشاد العقل السّليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج٩، ص١١٣. (بتصرّف)

(٢٤٢) سورة عبس الآيتان ٤٠-٤١.

(٢٤٣) انظر ما جاء في دراسة الآية السابقة مباشرة في هذا البحث.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أمّا قوله ﴿ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴾ فهي الكدرة والغبار، وهي: "كناية عن تغيّر الوجه للغمّ"(٢٤٤).

ويُلاحظ هنا مجيء الجار والمجرور في قوله ﴿ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴾ ولم يكن التّعبير بالقول (ووجوه يومئذ مغبرة)، أي لم يستعمل اسم الفاعل (مُغبِرة) في مُقابل﴿ مُسْفِرَةٌ ﴾ في الآية السّابقة، وذلك ـ والله أعلم ـ لأنّ في استعمال الجار والمجرور (على) مضافًا إلى الضمير العائد على وجوه الكافرين دليل على غلبة كُدرة اللّون وشحوبة الوجوه أكثر ممّا لو قيل (مُغبرة)، لاسيّما وأنّ في تقديم الجار والمجرور﴿ عَلَيْهَا ﴾ على قوله ﴿ غَبَرَةٌ ﴾ معنى التّخصيص، أي تخصيص تلك الوجوه بالغبرة المذكورة، وجملة ﴿ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴾ في محلّ رفع نعت لوجوه.(٢٤٥)

أمّا قوله﴿ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴾ فهي جملة في محلّ رفع خبر لقوله:﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ... ﴾، ويُلاحظ هنا أنّ الجملة ﴿ تَرْهَقُهَا ﴾ والتي تعني تعلوها وتغشاها، جاءت بصيغة المضارع رغم كون السّابقة لها جملة إسميّة، وهو دليل على استمراريّة هذه الصّفة ومُلازمتها لهم مع تجدّد السّواد والظُّلمة على هذه الوجوه ـ والعياذ بالله ـ.

---

(٢٤٤) أبو القاسم الحسين بن محمد الرّاغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، مادّة (غبر).

(٢٤٥) محمود صافي، **الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه**، ج٣٠، ص٢٥١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وإذا عدنا إلى معنى (الرَّهَق) وعلمنا أنّه :غشيان الأمر بقهر(٢٤٦) أدركنا كيف أُصيبت هذه الوجوه بالسّواد والظّلمة بقهر وبِشدّة لا يُمكن التّصرّف فيها أو تغييرها، وذلك جزاء وِفاقًا لسوء أعمالهم وانعدام إيمانهم، إذ جاء في السّياق _بعد ذلك_ تعريف لهم، فقال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴾ ، فالإشارة جاءت بـــ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ رغم قرب الحديث عنهم في السّياق لانحطاط منزلتهم وتدنّيها عن منزلة المؤمنين.

أمّا قوله:﴿ هُمُ ﴾ فهو ضمير الفصل جاء لتأكيد الحديث عنهم ولاختصاصهم بالمعنى المُراد في السّياق وهو الكفر والفجور.(٢٤٧)

وأتبع وصف ﴿ ٱلْكَفَرَةُ ﴾ بوصف ﴿ ٱلْفَجَرَةُ ﴾ مع أنّ وصف الكفر أعظم من وصف الفجور لما في معنى الفجور من خساسة العمل، فذكر وصفيهم الدّالّين على مجموع فساد الاعتقاد وفساد العمل(٢٤٨)، كما أنّ في عدم وجود عاطف بين الصّفتين دليل على اتّحاد الوصفين في داخلهما.(٢٤٩)

---

(٢٤٦) أبو القاسم الحسين بن محمد الرّاغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، مادّة (رهق).

(٢٤٧) يحيى بن حمزة العلوي، **كتاب الطّراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**، ط بدون، بيروت، دار الكتب العلميّة، دون تاريخ، ج٢، ص١٤٤-١٤٥. (بتصرّف)

(٢٤٨) محمد الطاهر بن عاشور، **تفسير التّحرير والتّنوير**، ج١٥، ص١٣٨. (بتصرّف)

(٢٤٩) المصدر السّابق. (بتصرّف)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الموضع السادس:

أ_ قال تعالى: (٢٥٠) ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴾، وقوله: (٢٥١) ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾.

ب_ المعنى العام:

يُبيّن المولى _تبارك وتعالى_ وصفًا لوجوه الكُفّار، هو نتيجة لاستهانتهم في الدّنيا، فيُبيّن أنّها ذليلة يعتريها الخزي والهوان(٢٥٢) ويبدو ذلك من خلال قوله تعالى في موضع آخر: (٢٥٣) ﴿ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ﴾.

وذكر الطّبري أنّ هذا الخشوع يكون في النّار، كذلك العمل والنّصب يكون في النّار أيضًا لتكبّرها وإعراضها في الدّنيا فيُعملها _سبحانه وتعالى_ وينصبها في النّار(٢٥٤) . "وقال ابن عبّاس: يعني الذين عملوا ونصبوا في الدّنيا على غير دين الإسلام من عبدة الأوثان وكُفّار أهل

---

(٢٥٠) سورة الغاشية الآيات من ٢-٤.

(٢٥١) سورة الغاشية الآيات من ٨-١٠.

(٢٥٢) الإمام الفخر الرّازي، **التّفسير الكبير**، ج٣١، ص١٥١. (بتصرّف)

(٢٥٣) سورة الشّورى الآية ٤٥.

(٢٥٤) أبو جعفر بن جرير الطّبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج٣٠، ص١٩٠. (بتصرّف)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الكتاب، مثل الرّهبان وأصحاب الصّوامع، لا يقبل الله منهم اجتهادًا في ضلال، بل يدخلون النّار يوم القيامة، ومعنى النّصب الدّؤوب في العمل بالتّعب"(٢٥٥)

وقيل لأنّها لم تعمل في الدّنيا فأعملها الله ـتعالىـ وأنصبها في النّار بمعالجة السّلاسل والأغلال، وتخوض في النّار كما تخوض الإبل في الوحل، وقيل يجرون على وجوههم في جهنّم، وقيل يُكلّفون ارتقاء جبل من حديد فيها(٢٥٦)، وهذه الوجوه تلزمها النّار وتُحرق بها.(٢٥٧)

أمّا الآيات الأخرى(٢٥٨) فهي تصف لنا الوجوه المؤمنة وهي وجوه أصحاب أهل الثّواب والمغفرة، فيذكر أنّها ذات بهجة وتنعّم وحسن وإشراق(٢٥٩)، قال تعالى في موضع آخر:(٢٦٠)﴿ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾

---

(٢٥٥) علاء الدّين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي المعروف بالخازن، تفسير الخازن (**لباب التّأويل في معاني التّنزيل**)، ط٢، القاهرة، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٥٥م، ج٦، ص٢٣٧.

(٢٥٦) المصدر السّابق، ج٦، ص٢٣٧. (بتصرّف)

(٢٥٧) الإمام الفخر الرّازي، **التّفسير الكبير**، ج٣١، ص١٥٢.

(٢٥٨) انظر: سورة الغاشية، الآيات من ٨ـ١٠.

(٢٥٩) الإمام الفخر الرّازي، **التّفسير الكبير**، ج٣١، ص١٥٣. (بتصرّف)

(٢٦٠) سورة المطففين الآية ٢٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهم راضون عن أعمالهم في دنياهم، فيرضون في آخرتهم عن ثواب هذه الأعمال وجزائها.(٢٦١)

ج- مناسبة الآيات للسّياق:

أكّدت الآية الأولى من السّورة الكريمة(٢٦٢) وقوع الغاشية وهي التي اختلف المفسّرون فيها، فمنهم من ذكر أنّها القيامة التي تغشى النّاس بالأهوال(٢٦٣)، ومنهم من قال: إنّها النّار تغشى وجوه الكُفّار(٢٦٤).

ومهما اختلفت الأقوال، فإنّ المراد واحد لأنّ كليهما غاشية يذهل فيها النّاس، ويغشى الكدر وجوه الجميع..؛ لذا كان من المناسب للسّياق هنا أن يصف وجوه الكُفّار الذين تبدو عليهم آثار البلاء الذي يُكابدونه بسببها سواء أكان ذلك البلاء خشوعًا مُقترنًا بخوف ورهبة أو ذلّة وصَغار، أو نصب وتعب لكثرة ما كُلِّفوا به من عمل في النّار عوضًا عن تقصيرهم في الدّنيا.(٢٦٥)

---

(٢٦١) أبو جعفر بن جرير الطّبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج٣٠، ص١٦٣. (بتصرّف)

(٢٦٢) انظر: سورة الغاشية الآية ١.

(٢٦٣) أبو جعفر بن جرير الطّبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج٣٠، ص١٦٣. (بتصرّف)

(٢٦٤) المصدر السّابق، ج٣٠، ص١٥٩. (بتصرّف)

(٢٦٥) انظر ما جاء في المعنى العام لهذه الآيات من هذا البحث.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وبعد أن استكملت الآيات الحديث عن هذه الفئة وما ينالها من عذاب وهوان _سواء أكان ذلك من مشرب أو مأكل_[٢٦٦]، كان من المناسب أن يتحدّث السّياق الكريم عن وصف الوجوه المقابلة وهي وجوه المؤمنين التي عمل أصحابها في دنياهم ونالوا ما نالوه في سبيل دينهم وتقواهم، وهي الوجوه التي ستنعم بالفضل والنّعيم والرّضى من الله ثمّ الرّضا بما عملت _من قبل_، وبما ستناله من ثواب في ذلك اليوم، فالجزاء من جنس العمل والأجر على قدر المشقّة.[٢٦٧]

د_ دراسة الألفاظ والتّراكيب:

لدراسة هذه الآيات بيانيًّا علينا أن نعود إلى كلّ آية لفظة لفظة، وتركيبًا تركيبًا، قال تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ... ﴾ ، نُلاحظ بداية الآية بلفظ ﴿ وُجُوهٌ ﴾ وهو نكرة رغم كونه مبتدأ؛ لأنّ المجال مجال تنويع وتقسيم، فضلاً عن إفادة التّقليل والتّحقير من شأن أصحاب هذه الوجوه، وقد قيل إنّ التّعبير بلفظ الوجه قد أريد به أهل هذه الوجوه؛ لأنّ الوجه هو أشرف ما في الإنسان[٢٦٨]، فضلاً عن أنّه الجزء المُختصّ والمُعبّر عن أحاسيس الإنسان ومشاعره، وبهذا اشتملت الآية هنا على مجاز مرسل علاقته الجزئيّة، إذ إنّ الخشوع يكون في البدن كلّه

(٢٦٦) انظر سورة الغاشية الآيات من ٤-٧.

(٢٦٧) انظر سورة الغاشية الآيات من ٨-١٦.

(٢٦٨) علاء الدّين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الخازن، تفسير الخازن (لباب التّأويل في معاني التّنزيل)، ج٦، ص٢٣٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وليس في الوجه فحسب، وما الوجه إلاّ جزء له مزيد اختصاص بذلك الخشوع.

وقوله: ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ عائد على يوم القيامة الذي تحدث فيه الغاشية، وقد سبق بيان أصل الكلمة(٢٦٩)، والتنوين عِوض عن المُضاف إليه، أي يوم غشيان الغاشية.

وقوله: ﴿ خَٰشِعَةٌ ﴾ عبَّر بالخشوع هنا وهو يعني "الضّراعة، وأكثر ما يستعمل الخشوع فيما يوجد على الجوارح، والضّراعة أكثر ما تستعمل فيما يوجد في القلب، ولذلك قيل فيما روي: إذا ضرع القلب خشعت الجوارح"(٢٧٠)، قال تعالى:(٢٧١) ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾.

نقول عُبِّر بلفظة ﴿ خَٰشِعَةٌ ﴾ في السِّياق الكريم ليظهر من خلال ذلك مدى ضراعة قلوب هذه الفئة لربّها وخوفها من عقابه _في ذلك اليوم_ ولعلّ ذلك الإحساس مُضاعف عندهم لتفريطهم في الدّنيا وعدم تفكيرهم، بل واستهزائهم بهذا اليوم وبمن عمل له من المؤمنين.

وفي تقديم ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ على مُتعلّقه ﴿ خَٰشِعَةٌ ﴾ دليل على الاختصاص، أي خصوصيّة الخشوع في ذلك اليوم دون غيره، وليس الاهتمام _كما

---

(٢٦٩) عند دراسة هذا اللفظ في الآيات المدروسة سابقا في هذا البحث.

(٢٧٠) أبو القاسم الحسين بن محمد الرّاغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، مادّة (خشع).

(٢٧١) سورة المؤمنون الآية ٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ذكر في التحرير والتنوير_[٢٧٢] لأنّ الخشوع لم ولن يحدث من هؤلاء الكفّار إلاّ في ذلك اليوم.

أمّا التّركيب ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴾ فهو استئناف بياني، لأنّه وجب الفصل بين التّركيب الأوّل وهو قوله تعالى:[٢٧٣]﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴾ وكأنّه قيل بعدها _ما به، أو ما شأنه؟).. فتأتي الإجابة: [٢٧٤]﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴾.

أمّا قوله تعالى: [٢٧٥]﴿ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴾ فهما وصفان آخران جاء بهما السّياق الكريم للتّعريض بأهل الشّقاء بتذكيرهم بأنّهم تركوا الخشوع لله والعمل بما أمر والنّصب في القيام بطاعته، فجزاؤهم خشوع ومذلّة أو عمل مذلّة، ونصب إرهاق.[٢٧٦]

ويُلاحظ هنا تقديم ﴿ عَامِلَةٌ ﴾ على ﴿ نَّاصِبَةٌ ﴾ لأنّ العمل يأتي أوّلاً وهو الدّأب والاستمراريّة على ما أمروا به في الآخرة من جرّ السّلاسل والأغلال والخوض في النّار، ثمّ يكون النّصب وهو التّعب، يُقال: (نصب)

---

(٢٧٢) محمد الطاهر بن عاشور، **تفسير التّحرير والتّنوير**، ج١٥، ص٢٩٥. (بتصرّف)

(٢٧٣) سورة الغاشية الآية ١.

(٢٧٤) سورة الغاشية الآية ٢.

(٢٧٥) سورة الغاشية الآية ٣.

(٢٧٦) محمد الطاهر بن عاشور، **تفسير التّحرير والتّنوير**، ج١٥، ص٢٩٦. (بتصرّف)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بالكسر ينصب نصبًا إذا تعب، والمعنى: "أنّها في الآخرة تعبة لما تلاقيه من عذاب الله"(٢٧٧).

أو أنّه المقصود إشارة إلى عملهم السّيّئ في الدنيا الذي لا طائل منه؛ فكان نتيجة تعبهم في الآخرة وعدم ارتقائهم به.(٢٧٨)

أمّا قوله: ﴿ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴾ فهي جملة في محلّ رفع خبر لـ﴿ وُجُوهٌ ﴾ (٢٧٩)، وليست وصفًا لها وإنّما لبيان جزائها في الآخرة كذا في الآيات التّالية لها مباشرة.(٢٨٠)

أمّا قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴾ ، فهو وصف آخر للوجوه المؤمنة التي بدأت فيه الآية كما نُلاحظ بنفس الطّريقة التي بدأت به الآية المُتحدّثة عن وجوه الكُفّار، إذ نكّر لفظ ﴿ وُجُوهٌ ﴾ مع كونه مبتدأ لأنّ المقام مقام تنويع، فضلاً عن أنّ النّكرة أفادت هنا معنى التّعظيم، ولا أدلّ على ذلك من قوله ﴿ نَّاعِمَةٌ ﴾ بعد ذلك.. لأنّ أصحاب الوجوه التي توصف بهذا الوصف لا تستحقّ أقلّ من التّعظيم والتّفخيم، فلفظ ﴿ نَّاعِمَةٌ ﴾ هو اسم فاعل من النِّعمة، "وهي الحالة الحسنة، وبناء النِّعمة بِناء الحالة التي يكون

---

(٢٧٧) محمد الشّوكاني، فتح القدير الجامع بين فنّي الرّواية والدّراية من علم التّفسير، ج٥، ص٤٢٨.

(٢٧٨) المصدر السّابق، ج٥، ص٤٢٨. (بتصرّف)

(٢٧٩) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، ج٣٠، ص٣١٢.

(٢٨٠) انظر: سورة الغاشية الآيات من ٤-٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عليها الإنسان كالجِلسَة والرِّكْبَة، والنِّعْمَة التَّنعّم وبناؤها بناء المَرَّة من الفعل كالضَّرْبَة والشَّتْمَة، والنِّعْمة للجنس تُقال للقليل والكثير"(٢٨١)، قال تعالى:(٢٨٢)﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ ﴾.

وذكر صاحب تفسير التّحرير والتّنوير: "أنّها يجوز أن تكون مشتقّة من نعُم بضمّ العين ينعُم بضمّها الذي مصدره نُعُومة، وهي اللِّين وبهجة المرأى وسحن النّظر، ويجوز أن تكون مشتقّة من نعِم بكسر العين ينعَم مثل حذِر، إذا كان ذا نعمة أي حُسْن العيش والتّرف"(٢٨٣).

وأرى أنّ هذه اللّفظة قد جمعت بين كلّ هذه المعاني الجميلة بلفظها الموضوع في السِّياق، وهل من نعمة وفضل وبهجة وخير أكثر ممّا يلقاه المؤمن في ذلك اليوم الذي يلقى فيه ربَّه فيجزيه على حُسن عمله، ويبدو ذلك واضحًا على صفحة وجهه النّقيّة الطّاهرة؟!

كما أرى في اسم الفاعل ﴿ نَّاعِمَةٌ ﴾ دِقَّة وجمالاً أكثر ممّا لو قيل (مُنعّمة)، لأنّ في قوله ﴿ نَّاعِمَةٌ ﴾ جاء المدُّ بعد النون وقبل العين، ومع هذا المدّ يشعر السّامع أو القارئ له بهدوء نفسي يمنحه التأمّل والتّفكير في هذا النّعيم الذي يعيشه أصحاب هذه الوجوه، وهو يتناسب تمامًا مع

---

(٢٨١) أبو القاسم الحسين بن محمد الرّاغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مادّة (نعم).

(٢٨٢) سورة إبراهيم الآية ٣٤.

(٢٨٣) محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التّحرير والتّنوير، ج١٥، ص٢٩٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الحالة النّفسيّة التي ينعمون بها، في حين أنّنا لا نشعر بذلك مع اللّفظة المُرادفة لها (مُنعّمة) أو (مُتنعّمة). هذا فضلاً عن تناسب اللّفظة بجرسها مع ما جاء بعدها في السّياق وهو قوله: (٢٨٤) ﴿ لَسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ۝ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴾.

أمّا التّركيب ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴾ فقد جاء مفصولاً عمّا قبله لأنّه استئناف بيانيّ لكونه جوابًا عن استفهام مُقدّر تفرضه الجملة السّابقة، وهو "هل من حديث الغاشية ما هو مُغاير لهذا الهول؟ أي ما هو أنس ونعيم القوم الآخرين"(٢٨٥).

هذا وبين التّراكيب: (٢٨٦)﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً...﴾ وقوله(٢٨٧)﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾ مقابلة واضحة لتضادّ المعاني بينها،ورغم أنّ قوله: (٢٨٨)﴿ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴾"خبر لوجوه"(٢٨٩)، إلاّ أنّنا نشعر بوصف الوجوه مع هذا الخبر، وأيّ وصف هو أجمل من الرّضى والاطمئنان؟!

---

(٢٨٤) سورة الغاشية الآيات من ٩-١٢.

(٢٨٥) محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التّحرير والتّنوير، ج١٥، ص٢٩٨.

(٢٨٦) سورة الغاشية الآيات من ٢-٤.

(٢٨٧) سورة الغاشية الآيات من ٨-١٠.

(٢٨٨) سورة الغاشية الآية ٩.

(٢٨٩) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، ج٣٠، ص٣١٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إنه رضى عن ثقة وتأكّد إذ يقول ـعزّ من قائلـ: ﴿ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴾ فالسّعي: في الأصل يُستعمل للمشي السّريع دون العدو، ويستعمل للجدّ في الأمر خيرًا كان أو شرًّا.

قال تعالى : (٢٩٠)﴿ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ ﴾ ، وقال : (٢٩١)﴿ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾، كما أنّه أكثر ما يستعمل السّعي في الأفعال المحمودة.(٢٩٢)

فالمؤمنون راضون عن سعيهم في طاعة الله ومرضاته في الدّنيا، وهاهم يجنون ثمرة ذلك السّعي في آخرتهم بسعادة أبديّة واطمئنان لا يزول في جنّة عالية طال انتظارهم لها وتطلّعهم إليها.

وبما أنّ الوجه هو الجارحة التي تظهر عليها المشاعر والانفعالات الكامنة في النّفس، فكان انتساب السّعي والرّضى للوجوه مجاز مرسل علاقته الجزئيّة.

يقول سيّد قطب عن هذه الوجوه: "وجوه يبدو فيها النّعيم، ويفيض منها الرّضى، وجوه تنعم بما تجد، وتحمد ما عملت، فوجدت عقباه خيرًا، وتستمتع بهذا الشّعور الرّوحي الرّفيع، شعور الرّضى عن عملها حين

---

(٢٩٠) سورة البقرة الآية ١١٤.

(٢٩١) سورة التحريم الآية ٨.

(٢٩٢) أبو القاسم الحسين بن محمد الرّاغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مادّة (سعى). (بتصرّف)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ترى رضى الله عنها، وليس أروح للقلب من أن يطمئنَ إلى الخير ويرضى عاقبته، ثمّ يراها ممثّلة في رضى الله الكريم وفي النّعيم"(٢٩٣).

(٢٩٣) سيّد قطب، **في ظلال القرآن**، ج٦، ص٣٨٩٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تعقيب وموازنة:

إذا أعيد النظر إلى الآيات المدروسة السابقة يُلاحظ ارتباط وصف الوجوه بعمل أصحابها، فالبياض والنضرة والإشراق والسرور والسعادة لوجوه المؤمنين الذين أفنوا حياتهم وبذلوا ما بذلوه من جهد وجهاد بالنفس والمال في دنياهم حتى وصلوا إلى هذا الجزاء المحمود.

بينما السواد والظلمة والكدرة ولفح النار لوجوه الكفار والجاحدين الذين بخلوا بالنفس والمال للإعداد لهذا اليوم الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون إلاّ من أتى الله بقلب سليم.

كما يلاحظ مجيء الوصف مجملاً في بعض الآيات في حين تفصيله في موضع آخر...فمن الوصف المجمل للوجوه قوله تعالى:(٢٩٤) ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾، وقوله تعالى: (٢٩٥) ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾، وقوله: (٢٩٦) ﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾.

بينما نجد نفس الوصف أكثر تفصيلاً في آيات أخرى مثل قوله تعالى:(٢٩٧)

﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ

(٢٩٤) سورة آل عمران الآيتان ١٠٦-١٠٧.
(٢٩٥) سورة الزمر الآية ٦٠.
(٢٩٦) سورة إبراهيم الآية ٥٠.
(٢٩٧) سورة يونس الآيتان ٢٦-٢٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾، وقوله: (٢٩٨) ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ۝ وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذِۭ بَاسِرَةٞ ۝ تَظُنُّ أَن يُفۡعَلَ بِهَا فَاقِرَةٞ ﴾ ، وقوله: (٢٩٩)﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ ۝ ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ ۝ وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ ۝ تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَفَرَةُ ٱلۡفَجَرَةُ ﴾، وقوله:(٣٠٠)﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝ عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ ۝ تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةٗ ﴾، وقوله:(٣٠١)﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاعِمَةٞ ۝ لِّسَعۡيِهَا رَاضِيَةٞ ۝ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ﴾.

تلك هي عادة القرآن الكريم في عرض المعاني وذكر القصص والموضوعات، فتراه موجزًا المعنى في موضع، بينما تراه مُطنبًا في موضع آخر، كما ورد في قصّة النّبي موسى ـ عليه السلام ـ، ولعلّ في ذلك أهدافًا، منها ا لتّشويق وحبّ المتابعة وطرد الملل والسآمة عن القارئ أو السّامع.

كما يُلاحظ اختلاف الوصف في موضع عنه في موضع آخر، فانظر إلى قوله تعالى: (٣٠٢)﴿ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًا ﴾، وقوله: (٣٠٣)﴿...وَتَغۡشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾، **ففي الآية الأولى بدا الوصف قويًّا مُعبّرًا**

---

(٢٩٨) سورة القيامة الآيات من ٢٢-٢٥.
(٢٩٩) سورة عبس الآيات من ٣٨-٤٢.
(٣٠٠) سورة الغاشية الآيات من ٢-٤.
(٣٠١) سورة الغاشية الآيات من ٨-١٠.
(٣٠٢) سورة يونس الآية ٢٧.
(٣٠٣) سورة إبراهيم الآية ٥٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومُصوِّرًا لشدّة الظلمة التي تُصيب هذه الوجوه الذّليلة... ولعلّ في قراءة من قرأ (قِطعًا) بفتح الطّاء[٣٠٤] أكثر مبالغة إذ إنّها دليل على إصابة الوجه بأكثر من قطعة سوداء، وبذا يكون أكثر تشويهًا وبشاعة ممّا لو كُسي بقطعة سوداء واحدة.

أمّا في الآية الثّانية فتبدو بلاغة الوصف من جانب تغطية النّار للوجه كاملاً مع استمراريّة هذا الغطاء وعدم زواله عنهم، وذلك مُناسب تمامًا لحالة الحرج الذي أصابهم لسوء ما عملوا وعدم قدرتهم على التّخلّص من أعمالهم.

كذا نُلاحظ فرقًا واضحًا بين قوله تعالى: [٣٠٥]﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴾، وبين قوله: [٣٠٦] ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾، ففي قوله: [٣٠٧]﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴾ وصفت الآية الكريمة شِدّة حرق الوجوه بالنّار إلى الحدّ الذي يُؤدّي إلى كلوحها وهو شِدّة تقلّص الشّفتين عن الأسنان، ممّا يُؤدّي إلى التّشوّه الشّديد ـ والعياذ بالله ـ.[٣٠٨]

---

(٣٠٤) الإمام الفخر الرّازي، **التّفسير الكبير**، ج٢، ص٨١.

(٣٠٥) سورة المؤمنون الآية ١٠٤.

(٣٠٦) سورة الزّمر الآية ٦٠.

(٣٠٧) سورة المؤمنون الآية ١٠٤.

(٣٠٨) محمد بن محمد العمادي أبي السّعود، **تفسير أبي السّعود (إرشاد العقل السّليم إلى مزايا القرآن الكريم)**، ج٦، ص١٥١. (بتصرّف)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أمّا في قوله:[٣٠٩] ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾، فيبدو سواد الوجه نتيجة مُتوقّعة لما فعلوه من الكذب على الله ووصفه بما لا يليق به _عزّ وجلّ_ كاتّخاذ الولد _سبحانه وتعالى عمّا يقولون علوًّا كبيرًا_ وهذا السّواد قد يكون بسبب مكوثهم في النّار واحتراق جلود وجوههم جزاءً وِفاقًا لما فعلوه، إذ قال تعالى بعد ذلك: [٣١٠] ﴿ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾.

وفي قوله تعالى: [٣١١] ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۝ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ۝ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴾، نُلاحظ وصفًا للوجوه من جهة الإضاءة والإشراق والسّعادة بالنّسبة للمؤمنين، بينما نجد الكُدرة والغبار والسّواد وصفًا لاحقًا بوجوه الكُفّار، وكلّه وصف خارجيّ للوجوه.

ويأتي الوصف للوجوه في قوله تعالى: [٣١٢] ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً . . .﴾، وقوله:[٣١٣] ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴾، مُعبّرًا عن الحالة النّفسيّة التي يشعر بها أصحاب تلك الوجوه، فالخشوع والتّذلّل والخضوع مناسب للعمل والنّصَب الذي يُصيبها في ذلك اليوم الموعود.

---

(٣٠٩) سورة الزّمر الآية ٦٠.
(٣١٠) سورة الزّمر الآية ٦٠.
(٣١١) سورة عبس الآيات من ٣٨-٤١.
(٣١٢) سورة الغاشية الآيات من ٢-٤.
(٣١٣) سورة الغاشية الآيتان ٨-٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أمّا الإحساس بالنّعيم والرّضى، فشعور آخر توصف به الوجوه السّعيدة الرّاضية بما آتاها الله من فضله، ولِمَ لا يكون ذلك وقد أصبح مأواها عالي الجنان والفوز برضى الكريم المنّان؟!

ذلك هو وصف القرآن الكريم الذي يتناول الفكرة من جوانب مُتعدّدة؛ ليوفّيها حقّها من الإبداع والتّأثير، ولِتنقل السّامع إلى كلّ ما يُحيط بهذا الموصوف من مشاعر وأحاسيس قد يكون تأثيرها أقوى من الوصف نفسه، ولِمَ لا يكون كذلك وهو منزل من الخالق الموجد للأشياء وأوصافها، والعالم بدقائقها وكنهها...؟!

وصدق _سبحانه وتعالى_ في قوله عنه: (٣١٤) ﴿ . . . وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾.

(٣١٤) سورة النّساء الآية ٨٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الخاتمة

بفضل من المولى وتوفيق تمّت رحلة العمل والدّراسة التي شاء ـسبحانه وتعالىـ أن تكون مُتخصّصة في أمتع مجال وأكرمه، ألا وهو مجال الدّراسات البيانيّة في القرآن الكريم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

كما شاء تعالى أن تتناول هذه الدّراسة وصف الوجوه يوم القيامة من خلال آيات كريمات اتّسمت ـكغيرها من آي القرآن كلّهـ بالنّظم البديع، والبلاغة العالية، والأسلوب الفذّ المُتميّز.

إلاّ إنّ البحث في وصف الوجوه أوقفنا على سِماتٍ عامّة تميّز بها الوصف القرآني، بالإضافة إلى المُميّزات الخاصّة بوصف الوجوه في ذلك اليوم.

أمّا السّمات العامة للوصف القرآني، فتبدو في اعتماد الوصف فيه على التّصوير الذي لا يُستغنى فيه عن اللّون أو الحركة، أو الإيقاع والجرس، فضلاً عن تميّز هذا الوصف باشتراك الحوار مع جرس الألفاظ وصوت العبارات فيه مع تآلفه، كلّ ذلك في السّياق لإبراز صورة تتمكّن في نفس قارئها وسامعها، فتملأ قلبه وحِسّه، وتُثير وجدانه مع سيطرتها على فكره وكيانه[٣١٥]. واعتماد كلّ ذلك على عناصر الطّبيعة وما يُحيط بالإنسان لتكون أكثر تأثيرًا فيه وليكون هو أكثر تفاعلاً معها.

---

(٣١٥) سيّد قطب، في ظلال القرآن، ص٣٥. (بتصرّف)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولا أدلّ على ذلك من وصف القرآن لنور الله عزّ وجلّ ـ وهو لا يُمكن أن يُضاهى بشيء ـ قال تعالى: (٣١٦) ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ... ﴾ إلخ.

أمّا السّمات الخاصّة التي وصل إليها البحث من آيات وصف الوجوه يوم القيامة فتبدو في:

- إنّ وصف الوجوه يوم القيامة جاء متناسبًا مع أعمال أصحابها، فالبِشر والبياض والإشراق والنّضارة والفرح والاستبشار والسّعادة والنّعيم للوجوه المؤمنة ذات النّفوس التّقيّة.

أمّا الكآبة والسّواد والغُبار والتّشاؤم والحزن والاحتراق فلوجوه الكُفّار والمُكذّبين.

- هذا وقد اهتمّت بعض الآيات بالوصف الخارجي للون الوجه كالبياض أو الإشراق لوجوه المؤمنين، والغبار والسّواد والكُدرة لوجوه الكافرين(٣١٧)، بينما تناولت آياتٌ أخرى هذا الوصف من جهة تأثير الشّعور النّفسي على أصحابها، فوصفت بعض الوجوه بالضّحك والاستبشار، وأخرى

(٣١٦) سورة النور الآية ٣٥.

(٣١٧) انظر: سورة آل عمران الآيتان ١٠٦-١٠٧، وسورة يونس الآيتان ٢٦-٢٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بالنّعومة والرّضى، لحسن ما صنعت[٣١٨]، في حين وُصفت وجوه أخرى بالكدّ والعمل والنّصب، لسوء ما عملت وما قدّمت في دنياها.[٣١٩]

- وعرضت بعض الآيات هذا الوصف عرضًا اتّسم بالإيجاز مع أداء المعنى بلا تقصير، مثل قوله تعالى:[٣٢٠] ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ . . . إلخ ﴾، وقوله: [٣٢١]﴿ . . . وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾. بينما أطنبت الأخرى في عرض نفس المعنى لتوضيحه وبيانه، مثل قوله:[٣٢٢]﴿ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ﴾، وقوله:[٣٢٣]﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴾.

ولعلّ البحث يُؤكّد في هذه العجالة ما تُؤكّده كتب الإعجاز جميعًا وهو: إنّه رغم الاختلاف في جوانب الوصف وطرقه في القرآن الكريم، ورغم الإيجاز فيه في موضع والإطناب في آخر، إلاّ أنّنا نجد دائمًا في كتاب الله العزيز نسقًا بديعًا، وبلاغة عالية، وقُدرة أسلوبيّة فذّة، ونظمًا متفرّدًا، يُعطي المعنى في أفصح لفظ وأبلغ تركيب وأجمل جرس وأفضل

---

(٣١٨) انظر: سورة عبس الآيتان ٣٨-٣٩، وسورة الغاشية الآيات من ٩-١١.

(٣١٩) انظر: سورة الغاشية الآيات من ٢-٤.

(٣٢٠) سورة آل عمران الآية ١٠٦.

(٣٢١) سورة إبراهيم الآية ٥٠.

(٣٢٢) سورة يونس الآية ٢٧.

(٣٢٣) سورة المؤمنون الآية ١٠٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أداء، ولِمَ لا يكون كذلك وهو من عند الله تعالى المُتفرّد بالكمال والجلال؟! وصدق سبحانه في قوله عنه: (٣٢٤)﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ .

وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم. سبحان ربك ربّ العزّة عمّا يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله ربّ العالمين.

(٣٢٤) سورة النّساء الآية ٨٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فهرس الآيات

(مواضع الدِّراسة والتَّحليل)

رقم الموضع	اسم السّورة
الموضع الأوّل:	
الآيات ١٠٦-١٠٧	آل عمران
الموضع الثّاني:	
الآيات ٢٦-٢٧	يونس
الموضع الثّالث:	
الآيات ٤٩-٥١	إبراهيم
الموضع الرّابع:	
الآيات ٢٢-٢٥	القيامة
الموضع الخامس:	
الآيات ٣٨-٤١	عبس
الموضع السّادس:	
الآيات ٢-٤	الغاشية
الآيات ٩-١١	الغاشية

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١ـ القرآن الكريم.
٢ـ الآمدي (الحسن بن بشر بن يحيى)، الموازنة بين شعر أبي تمّام والبحتري، تحقيق السيّد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٥م.
٣ـ الألوسي (أبو الفضل شهاب الدين السيّد محمود)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، ط جديدة، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٣م.
٤ـ ابن جعفر (أبو الفرج قدامة)، نقد الشّعر، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٨م.
٥ـ ابن رشيق (أبو علي الحسن)، العمدة في صناعة الشّعر ونقده، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة التّجارية، القاهرة، ١٩٥٥م.
٦ـ ابن فارس (أبو الحسن أحمد بن زكريّا)، معجم مقاييس اللّغة، تحقيق عبدالسّلام محمد هارون، ط١، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٣٧١هـ.
٧ـ ابن كثير (عماد الدين أبو الفدا إسماعيل)، تفسير ابن كثير، دار الفكر، بيروت، ١٩٨١م.
٨ـ ابن ماجة (أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني)، سنن بن ماجه،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء الكتب العربيّة، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٢م.

٩_ أبو حيان (محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان الأندلسي الغرناطي)، تفسير البحر المحيط، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٢م.

١٠_ أبو السعود (محمد بن محمد العمادي)، إرشاد العقل السّليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون تاريخ.

١١_ أبو موسى (محمد محمد)، التصوير البياني (دراسة تحليلية لمسائل البيان)، ط٤، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩٧م.

١٢_ أبو موسى (محمد محمد)، خصائص التركيب، ط٢، مكتبة وهبة، القاهرة.

١٣_ إسماعيل (عز الدين)، الأسس الجمالية في النقد العربي عرض وتفسير ومقارنة، ط٣، دار الفكرالعربي، القاهرة، ١٩٧٤م.

١٤_ امرؤ القيس (بن حجر بن الحارث بن عمر الكندي)، ديوان امرئ القيس، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٧٢م.

١٥_ بدوي (أحمد أحمد)، من بلاغة القرآن، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٥٠م.

١٦_ البيومي (محمد رجب)، البيان القرآني، ط١، الدار المصريّة اللبنانيّة، القاهرة، ٢٠٠١م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١٧_ الترمذي (أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة)، سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، مراجعة عبدالرحمن محمد عثمان، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٤م.

١٨_ الجعلبي (إبراهيم طه)، من بلاغة القرآن، ط بدون، مكتبة المتنبّي، الدمام، دون تاريخ.

١٩_ الجوهري (إسماعيل بن حماد)، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، ط٣، على نفقة حسن عباس شربتلي، ١٩٨٢م.

٢٠_ حسين (طه)، في الأدب الجاهلي، ط١٢، مكتبة دار المعارف، القاهرة، دون تاريخ.

٢١_ حسين (عبدالقادر)، القرآن والصورة البيانية، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧٥م.

٢٢_ الخازن (علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي)، تفسير الخازن (لُباب التأويل في معاني التنزيل)، ط٢، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٥م.

٢٣_ ذو الرمّة، ديوان ذي الرمة شرح الإمام أبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي رواية الإمام أبي العباس ثعلب، تحقيق وتقديم عبدالقدوس أبو صالح، ط٢، مؤسسة الإيمان، بيروت، ١٩٨٢م.

٢٤_ الرازي (الإمام الفخر الرازي)، التفسير الكبير، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢٥_ الراغب الأصفهاني (أبو القاسم الحسين بن محمد)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد سيّد الكيلاني، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.

٢٦_ الزبيدي (محمد مرتضى)، تاج العروس من جواهر القاموس، ط١، المطبعة الخيرية بجمالية مصر، القاهرة، بدون تاريخ.

٢٧_ الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي)، الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل، حقّق الرواية محمد الصادق قمحاوي، ط الأخيرة، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٧٢م.

٢٨_ الشايب (أحمد)، الأسلوب (دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية)، ط٧، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٦م.

٢٩_ الشوكاني (محمد)، فتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدراية من علم التفسير، ط٢، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٩٦٤م.

٣٠_ شيخ (أمين بكري)، البلاغة في ثوبها الجديد (علم المعاني)، ط٣، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٠م.

٣١_ شيخ (أمين بكري)، البلاغة في ثوبها الجديد (علم البديع)، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩١م.

٣٢_ صافي (محمود)، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه مع

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فوائد نحوية هامة، ط١ مزيدة، بإشراف اللجنة العلمية بدار الرشيد، دار الرشيد، مؤسسة الإيمان، بيروت، ١٩٩١م.

٣٣_ الصعيدي (عبدالمتعال)، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، ط١٧، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٥م.

٣٤_ الصعيدي (عبدالمتعال)، النظم الفني في القرآن، مكتبة الآداب، القاهرة، بدون تاريخ.

٣٥_ ضيف (شوقي)، العصر الجاهلي، ط٤، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٠م.

٣٦_ الطاهر بن عاشور (محمد)، تفسير التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر، تونس، بدون تاريخ.

٣٧_ طبانة (بدوي)، معجم البلاغة العربية، ط٣، دار المنارة للنشر، جدة، دار الرفاعي للنشر، الرياض، ١٩٨٨م.

٣٨_ الطبري (أبو جعفر بن جرير)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط٣، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٩٦٨م.

٣٩_ عباس (فضل حسن)، البلاغة فنونها وأفنانها (علم البيان وعلم البديع)، ط١، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الأردن، ١٩٨٧م.

٤٠_ العسكري (أبو هلال)، كتابة الصناعتين (الكتابة والشعر)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ود.محمد البجاوي، ط٢، مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٩٥٢م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٤١_ عصفور (جابر)، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ط٣، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٢م.

٤٢_ العقاد (عباس محمود)، الفلسفة القرآنية، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٤٧م.

٤٣_ العلوي (يحيى حمزة اليمني)، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ضبط وتحقيق جماعة من العلماء، إشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٤_ الغزالي (محمد)، نظرات في القرآن، ط٥، دار الكتب الحديثة، القاهرة، دون تاريخ.

٤٥_ فيّود (بسيوني عبد الفتاح)، علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع، ط٢، مؤسسة المختار، القاهرة، دار المعالم الثقافية للنشر، الإحساء، ١٩٩٨م.

٤٦_ فيّود (بسيوني عبد الفتاح)، علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، ط٢، مؤسسة المختار، القاهرة، دار المعالم الثقافية للنشر، الإحساء، ١٩٩٨م.

٤٧_ القرطبي (أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري)، تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن، كتاب الشعب، القاهرة، بدون تاريخ.

٤٨_ القرطاجنّي (أبو الحسن حازم)، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، ط٣، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٦م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٤٩_ القزويني (محمد بن عبدالرحمن الخطيب)، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق محمد عبدالمنعم خفاجي، ط٣، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧١م.

٥٠_ القزويني (محمد بن عبدالرحمن الخطيب)، تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبديع، ط الأخيرة، مكتبة مصطفى الحلبي، القاهرة، بدون تاريخ..

٥١_ قطب (سيد)، التصوير الفني في القرآن، ط٨، دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ.

٥٢_ قطب (سيد)، في ظلال القرآن، الطبعة الشرعيّة الحادية عشر، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٢م.

٥٣_ لاشين (عبد الفتاح)، صفاء الكلمة، دار المريخ للنشر، الرياض، ١٩٨٣م.

٥٤_ الناعوري (عيسى)، أدب المهجر، ط٣، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧م.

٥٥_ الهاشمي (أحمد)، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ط١٢ معدّلة ومنقّحة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.

٥٦_ هلال (محمد غنيمي)، النقد الأدبي الحديث، ط٣، دار الثقافة، دار العودة، بيروت، ١٩٧٣م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner